

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر)

مذكرة

مقدمة بكلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

لنيل شهادة

الماجستير

من طرف

السيد: بوزيد رحمون

الموضوع

الدلالات السياقية للقصص القرآني

- قصة النبي موسى عليه السلام أنموذجا -

بتاريخ..... أمام اللجنة المتكونة من:

رئيسا	جامعة سطيف	أستاذ محاضر - أ -	د. عيسى بن سديرة
مشرفا ومقررا	جامعة سطيف	أستاذ التعليم العالي	أ.د. النوارى سعودي
ممتحنا	جامعة سطيف	أستاذ محاضر - أ -	د. زبيير القلي
ممتحنا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر - أ -	د. عيسى بوفسيو

السنة الجامعية: 2010 / 2011

مقدمة:

الدلالة السياقية من أهم المباحث التي اهتم بها العلماء قديما وحديثا، فغاية علوم اللغة جميعا الوصول إلى المعنى، وللوصول إلى هذه الغاية قامت نظريات عدة، أهمها النظرية السياقية الاجتماعية التي تزعمها الإنجليزي فيرث في العصر الحديث متأثرا بمن سبقوه ومنهم الأنثروبولوجي مالنوفسكي، كما كان ليفيرث بالغ الأثر فيمن جاء بعده.

فالمعنى - حسب أصحاب هذه النظرية - لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة، كما يرون بأن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها. وبهذا يكونون قد نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه، أو وصفه، أو تعريفه، فهم يركزون على أن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي.

وقريبا من هذا فقد قص الله تعالى في القرآن الكريم قصصا للأنبياء والمرسلين وما دار بينهم وبين أقوامهم، وما حدث من وقائع وأحداث في زمانهم، قصصا علينا بأساليب متنوعة يتحقق بها إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن أسلوب القصص القرآني ذا خصائص يمتاز بها عن سائر الأساليب. فله في المعنى واللفظ ألوان من التوجيه، وفنون من الإيحاء والتعليم، والمتأمل والمتدبر في آيات القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر كثير من الأنبياء في أكثر من سورة، وأكثر من موضع .

ولما كان التكرار في القصص القرآني ظاهرة واضحة لافتة للنظر وداعية لكثير من التساؤلات خاصة في قصة نبي الله موسى (عليه السلام) جاء هذا البحث محاولا الوصول إلى أن السياق ليس مرجعية عائمة، فيقال: هذا ما دل عليه سياق الكلام، ولكل مقام مقال، وغيرها من العبارات الفضفاضة، إنما يجب أن يعرف بأن للسياق كيانا لغويا يتمظهر في جملة العلاقات المعجمية، والصوتية، والتركيبية التي تصف النص بالالتحام أو الاتساق، أو التماسك، سواء من حيث بنيته الداخلية أم مع الموقف الذي يقال فيه، هذه العلاقات التي إن تجسدت، تحققت صفة الاتساق بينها وبين النص وهيأت النظام بينها، وهذا ما قادني إلى تساؤل بدا لي مشروعا وهو: هل يمكننا الوصول إلى تحديد الرابط الدلالي بين أجزاء قصة نبي الله موسى (عليه السلام) الواردة في جملة من السور القرآنية المختلفة من خلال مقارنة السياق العام لهذه القصة؟

وللإجابة عن هذا السؤال وقع اختياري على موضوع البحث الذي اخترت له عنوانا وسمته بـ: **الدلالات السياقية للقصص القرآني - قصة النبي موسى عليه السلام أنموذجا-**.

ولكن ما المنهج الذي أتناول من خلاله هذه الدراسة؟ لأن طبيعة الموضوع هي التي تملي المنهج المتبع فقد اهتديت إلى المزوجة بين المنهج الاستقرائي الذي حصرت من خلاله المواضيع التي توزعت عليها القصة في القرآن الكريم، وبين المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمدته في وصف وتحليل المادة التي أصبحت جاهزة للدراسة بين يدي.

وقد تناولت هذا الموضوع في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما الفصل الأول فكان نظريا وخصصته للسياق والقصص القرآني، وتناولت فيه تعريف السياق لغة واصطلاحا، وحاولت تحديد أركانه، ثم حاولت تعريف دلالة السياق وأنواعها، وبعدها عرجت على تأصيل النظرية السياقية في التراث العربي، ثم خصصت مبحثا للقصص القرآني عرفت فيه القصص لغة واصطلاحا، ثم حاولت أن أصل إلى ما يعنيه القصص القرآني للمسلمين، وبعدها أشرت إلى أنواع البنى القصصية في القرآن الكريم، ثم بينت في آخر هذا الفصل دلالة الألفاظ في القصص القرآني. أما الفصل الثاني والثالث من هذا البحث فخصصتهما للدراسة التطبيقية، حيث قمت بتقسيم هذه الدراسة التطبيقية إلى فصلين: الأول منهما تناولت فيه الفترة الأولى، وهي الفترة المصرية أوفترة ما قبل الخروج، أما ثانيهما فتناولت فيه الفترة الإسرائيلية، أوفترة ما بعد الخروج؛ لأن الدلالات تتغير حسب خصوصية كل مرحلة، على أن هذا التقسيم إجرائي، لأن الفصل بين المرحلتين ليس بالأمر السهل، أو الدقيق لكثرة ما في القصة من الالتفات الذي هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار أو العكس، لأن القصص القرآني حين يخبر عن الأمم الماضية فذلك ليس لمجرد الإخبار، أو التسلية، إنما يربط ذلك باستخلاص العبرة، ويتوخى إقامة الحجة ضد المكذبين المعرضين عن الدعوة المحمدية، سواء أكان القصص في الفترة المدنية أم في الفترة المكية من القرآن الكريم.

وفي هذا الشق التطبيقي قمت بحصر الآيات المتشابهة في قصة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم، وجعلت منها مقاطع مرقمة لكل سورة أرقامها. وقدمت لكل سورة بمقدمة أتلّمس فيها سياق السورة العام، ثم سياق القصة الخاص، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير.

كما قمت بإيراد آيات المقاطع بكاملها غير مقتصر على موضع الشاهد منها؛ لأهمية ذلك في بيان الدلالات السياقية.

والتزمت بالنظر إلى كل لفظ في محله، لأن اللفظ المناسب لموضع ما لا يمكن أن ينوب عنه غيره.

أما خاتمة البحث فجعلتها خلاصة قدمت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج. ولعل من أهم الصعوبات التي تواجه الدارس المبتدئ في مثل هذه البحوث قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت القصص القرآني، بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع النص القرآني لخصوصيته وقدسيته.

وكل بحث فقد اعتمدت في بحثي هذا على جملة من المراجع أذكر أهمها: اللغة العربية معناها ومبناها لـ: تمام حسان، وكتاب المعنى وظلال المعنى لـ: محمد محمد يونس علي وكتاب دور الكلمة في اللغة لـ: ستيفن أولمان ترجمة كمال بشر، وكذا تفسير التحرير لـ: الطاهر بن عاشور، وكذا تفسير الكشاف لـ: الزمخشري وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، وكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، وغيرها من المراجع التي لها صلة بموضوع البحث.

وفي الأخير لا يفوتني أن أنوه بالمساعدات الكبيرة التي قدمها لي الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور النوارى سعودي، وتوجيهاته السديدة التي لم يبخل بها على البحث منذ أن كان فكرة إلى غاية المرحلة الأخيرة من إنجازه.

الفصل الأول

السياق

و القصص القرآني

المبحث الأول: السياق لغة واصطلاحاً.

أولاً: السياق لغة:

تكاد المعاجم العربية تتفق حول هذه المادة ففي المقاييس "السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء يقال: ساق يسوق سوقاً، والسيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقتها. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق إليها.⁽¹⁾

وفي لسان العرب: "السوق معروف. ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً وسياقاً، وهو سائق وسواق، شدد للمبالغة... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساقوا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة.

وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعزاً ماتساق، أي ما تتابع والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضها.

وساق إليها الصداق والمهر سيقاً وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما... والسياق: المهر.

وساق بنفسه سيقاً: نزع بها عند الموت. تقول رأيت فلاناً يسوق سوقاً: أي ينزع نزعاً عند الموت"⁽²⁾.

وأصل السرد تتابع للحديث، أو للأحداث، جاء في أساس البلاغة: "ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده"⁽³⁾.

والسياق من التتابع دون انقطاع، ففي الصحاح: "ويقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية... والسياق نزع الروح"⁽⁴⁾.

1- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1392 هـ، ج3، ص 117.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط ت)، مادة: س و ق .

3- الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1404 هـ، ص 314.

4- الجوهري، الصحاح، تح، شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، ط1، 1418 هـ، ج2، ص 1138.

وفي القاموس المحيط نجد معنى التتابع وعدم الانقطاع ظاهرا : " والسياق ككتاب المهر... والمنساق: التابع، والقريب... وتساوقت الإبل: تتابعت وتقاودت، والغنم: تراحمت في السير".⁽¹⁾

وبهذا يتبين أن هذه المادة تدور على معنى التتابع، والاتصال، وأن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على ذلك، فسوق الإبل وتساوقها من التتابع، والتتابع اتصال لا انقطاع فيه، وساق الإنسان كذلك، والمهر، وسوق الروح، والسوق، سوق البيع والشراء، كل ذلك يدور على معنى التتابع والاتصال.

ثانيا: السياق اصطلاحا.

يستعمل لفظ (السياق) مقابلا للمصطلح الإنجليزي (Context) الذي يطلق، ويراد به: " المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية " ⁽²⁾.

ويرى هاليداي (M.Halliday) أن السياق: " هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"⁽³⁾.

ويفرق ديوجراند (R. de Beaugrand) بين مصطلحين⁽⁴⁾

1 - (Context) ويتضمن الدلالات الخارجية، و إنتاج النصوص واستقبالها.

2- (co-text) ويتضمن مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات.

وهذا التفريق بين نوعين من السياق هما السياق اللغوي والسياق غير اللغوي هو ما ألبسته نظرية فيرث (firth)، أو النظرية السياقية للدرس اللغوي حين أصبح تناول المعنى يعني تناولاً لهذين الجانبين واصطلح عليهما في الإنجليزية على الأشهر بـ:

1- Linguistic Context أو verbal Context ويراد به السياق اللغوي أو سياق

النص.

1 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ، ج3، ص166.

2 - ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط1، 1424 هـ، ص51.

3 - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1410 هـ، ص29.

4 - روبرت ديوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر، تمام حسان، القاهرة، ط1، 1418، ص91.

Context of situation أو the nom –linguistic Context -2 ويراد به سياق الموقف أو السياق غير اللغوي⁽¹⁾.

كما نجد أولمان يتحدث عن المصطلح (Context) بقوله: " وكلمة (Context) قد استعملت حديثا في معان مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، والقطعة كلها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل -بوجه من الوجوه - كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن"⁽²⁾.

وهناك مصطلح ثالث هو: (Context of culture) أي سياق الثقافة، وهو كذلك السياق الذي تنضوي تحته السياقات الأخرى لغوية أو غير لغوية⁽³⁾.

ويفرق الأسلوبيون كليا بين نوعين من السياقات الأسلوبية:

أولهما: السياق الصغير (micro Contexte): ويقصد به الجوار المباشر للفظ قبله أو بعده، ويعنى أسلوبيا بدراسة الكيفيات التي تتفاعل بها الكلمات، فيبرز بعضها بعضا، ويؤثر بعضها في بعض.

والآخر: السياق الكبير (macro Contexte) ويقصد به أحيانا ما هو أكبر من الجوار المباشر للفظ كالجمله أو الفقرة أو الخطاب جملة، وقد يتخذ هذا المصطلح أسلوبيا دلالة خاصة تتمثل في جملة المعطيات التي تحضر القارئ، وهو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي والاجتماعي.⁽⁴⁾

هذا، ويبقى السياق محتاجا إلى كثير من التعريف والدراسة وهو ما سيتناوله البحث في مبحث خاص بمجهود العرب قبل النظرية السياقة الحديثة.

1 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1994، ص 337 بتصرف.

2 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر، كمال بشر، مكتبة الشباب القاهرة، د ت ، ص 57.

3 - ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق ، ص 53.

4 - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب تونس، ط2، 1982، ص175.

المبحث الثاني: أركان السياق

الركن الأول: الخطاب.

والخطاب هو النص اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي، وهذا الخطاب يرتبط في داخله ترابطا تعلقيا وعضويا، كما يرتبط بالواقع الخارجي من حيث المطابقة وعدمها، كما يرتبط بالمتخاطبين من جهة كيفية إنتاجه وكيفية تلقيه.⁽¹⁾

وهذا التفاهم الذي يحدثه الخطاب بين المتخاطبين لا يتأتى إلا بالقيمة الحضورية التي تكتسبها كل كلمة عند استعمالها، داخل الخطاب، أو داخل الموقف التخاطبي، وهذا ما يذهب إليه فندريس حين يقول: " تزود كل كلمة لحظة استعمالها تزويدا تاما بقيمة وقتية تبعد جميع القيم الناتجة من الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها الكلمة".⁽²⁾

الركن الثاني: مصدر الخطاب:

فالمتكلم يشرع في الحديث عندما يكون هناك مثير يحفز به إلى الكلام، كأن ترد إلى ذهنه فكرة، أو يستمع إلى سؤال يدعوه إلى الإجابة، فيلجأ إلى اللغة باعتبارها علامات متواضعا عليها من قبل المجتمع تحقق له رغبته في توصيل كلامه إلى الآخرين، فيختار وحدات معجمية، مراعيًا في ذلك القواعد الصرفية، والنحوية التي تسمح بها اللغة، ويضع قولاته وفقا للقوالب المتاحة، لتوصيل فكرته، أو توضيح مقصده.⁽³⁾

قال ابن القيم: " والعارف يقول: ماذا أراد ؟ واللفظي يقول: ماذا قال ؟ كما كان الذين لا يفقهون إذا خرجوا من عند النبي (ص) يقولون: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ (محمد16)، وقد أنكر الله سبحانه عليهم وعلى أمثالهم بقوله: ﴿فَمَالِ هَتُولَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء 78) ، قدم من لم يفقه كلامه، والفقهاء أخص من الفهم، وهو فهم مراد المتكلم من كلامه، وهذا قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة، وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم.

1 - محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007، ص159 بتصرف.

2 - فندريس، اللغة، تر، عبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1، ص252.

3 - المعنى وظلال المعنى، ص152.

وقد كان الصحابة يستدلون على إذن الرب تعالى وإباحته بإقراره وعدم إنكاره عليهم زمن الوحي، وهذا الاستدلال على المراد بغير لفظ، بل بما عرف من موجب أسمائه وصفاته، وأنه لا يقر على باطل حتى يبينه.(1).

الركن الثالث: متلقي الخطاب:

يقوم المخاطب (المتلقي) بتفكيك ما ركبه المخاطب (منتج الخطاب) ، فهو يتعامل مع الخطاب بطريقته الخاصة في الفهم، مستعينا بثقافته، وتجاربه، وأحواله، فهو يقوم بتشكيل الخطاب من جديد ... وهذا التشكيل يختلف من متلق إلى آخر، وفق قواعد التأويل، والفهم، والتفسير. (2).

وتتبين مراعاة حال السامع في عدة جوانب:

منها: ما نجده في القرآن من ضرب الأمثال.

وهذا ما قال به صاحب البرهان: " ومن حكمته (أي ضرب المثل) تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان. فإن قلت: لماذا كان المثل عوناً على البيان، وحاصله قياس معنى بشيء من عرف ذلك المقيس، فحقه الاستغناء عن شبيهه، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة؟

والجواب: أن الحكم والأمثال تصور المعاني تصور الأشخاص، فإن تصور الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس، بخلاف المعاني المعقولة، فإنها مجردة من الحس، ولذلك دقت، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجرباً مسلماً لدى السامع" (3).

ومن هنا ما يكون بالحذف والإضمار اتكالاً على فهم السامع.

وهذا ما ذهب إليه الزركشي في قاعدة الضمائر: "الخامس: أن يدل عليه (أي الضمير) السياق، فيضمر ثقة بفهم السامع، كإضمار: الأرض في قوله: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ

1 - ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح، عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د ط ت، ج1، ص 181- 182 بتصرف.

2 - المعنى وظلال المعنى، ص155 بتصرف.

3 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1408 هـ، ج1، ص 487- 488.

الْأَناسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴿فاطر 45﴾ وقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾
(الرحمن 26) ". (1)

الركن الرابع: المساق.

وهو مجموعة الملابس والأحوال والظروف التي تتكاثف جميعا في التأثير على دلالة الخطاب، ومن جملتها الإشارات والإيماءات المساعدة التي يستعين بها المتكلم لإيضاح فكرته وإبلاغها إلى السامع، كما تتدخل عوامل أخرى، منها ما يتعلق بشخصيات المتخاطبين وحياتهم الخاصة، وتاريخهم الاجتماعي، والعلاقة بينهم، ومن هذه العلاقات ما هو وليد الموقف بحكم ظروف الزمان والمكان التي يقع فيها الخطاب. (2).

ويدخل في هذا معرفة أسباب النزول ومعرفة أحوال النبي (ص) وأحوال أصحابه، وسيرته، ومعرفة المكي والمدني، وغيرها من أحوال نزول القرآن الكريم، ولقد كان الصحابة يعتنون بهذا لما له من الأثر في فهم المعنى.

وفي هذا المساق نجد قول السعدي: "ومن فوائد معرفة الرسول (ص) معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه، وفهم المعنى المراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول (ص) وسيرته مع قومه وأصحابه، وغيرهم من الناس، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص، تختلف اختلافا كثيرا، فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك، لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله (ص) وعلى مراد الله من كلامه شيء كثير، وهذا إنما يعرفه من عرف مافي أكثر التفاسير من الأغلاط التي ينزه عنها كلام الله " (3).

أما ابن تيمية فيوجز الأمر قائلا: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب" (4).

1 - الزركشي، ج 4، ص 27.

2 - المعنى وظلال المعنى، ص 160 بتصرف.

3 - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة المملكة السعودية، ط 1، 1407 هـ، ج 1، ص 27.

4 - مجموع فتاوي ابن تيمية، ج 13، ص 339.

وفي الإتقان: " قال الواحدي لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، وقال ابن دقيق العيد بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن "(1).

الركن الخامس: ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه.

وهذا الركن تدخل تحته ثلاثة أمور هي أركان يقوم عليها:

الأمر الأول: المفردات:

ومن هذا ما قال به ابن جني في باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني: " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل، وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومداء، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النقران والغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال "(2).

الأمر الثاني: هيئة الكلمة .

بمعرفة تصريفها واشتقاقها، حيث إن المعاني تختلف باختلاف ذلك، لأن التصريف هو تغيير يطرأ على الحروف الأصلية للكلمة بزيادة أو نقصان أو إبدال، للوصول إلى المعاني المطلوبة منها.

وهذا ما قال به أبو البقاء العكبري: "وأما فائدة التصريف: فحصول المعاني المختلفة المنتشعبة عن معنى واحد. والعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة: لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارض الكلمة "(3).

1 - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط3، 1416هـ، ج1، ص93.

2- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح، محمد بن علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط3، 1407هـ، ج2، ص152.

3 - أبو البقاء بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح، غازي مختار، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1419 هـ، ج2، ص219.

الأمر الثالث: النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقتها ببعض.

إن دراسة الجملة قد استنفدت جهدا كبيرا من علماء النحو والبلاغة، وقد امتزجت الدراسات النحوية بمسائل بلاغية، كما قامت الدراسات البلاغية في كثير من الحالات على دراسات نحوية بصيرة واعية، لذلك كان من الصعب على من يتصدى لدراسة الجملة دراسة بلاغية أن يفصل بحثه عن الدراسة النحوية، أو يحدد بين اللونيين تحديدا كاملا وتاما، ولا عبرة بمن يقول: إن المباحث النحوية قد دخلت الدراسة البلاغية وأفسدتها، فهذا كلام فاسد (1).

وللزركشي كلام في هذا الصدد: " فصل فيما يجب على المفسر البداءة به: الذي يجب على المفسر البداءة العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبينه.

قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره، وهو كما قالوا: إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهني والخارجي، فنقول: النظر في التفسير هو بحسب أفراد الألفاظ وتراكيبها" (2).

وغير بعيد عن هذه الأركان، يرى هايمز Hymez أن للسياق دورا مزدوجا إذ يحصر مجال التأويلات ... ويدعم التأويل المقصود. (3)

وهذا السياق الذي يقوم بهذا الدور المزدوج يرى هايمز Hymez أن له خصائص يمكن تصنيفها إلى: (4)

1- المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

2- المتلقى: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

1 - محمد أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408 هـ، ص324 بتصرف يسير.

2 - البرهان في العلوم القرآن، ج2، ص173.

3 - محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1، 1991، ص52.

4 - لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، ص53.

3- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

4- الموضوع: وهو مدار الحديث الكلامي.

5- المقام: وهو زمان ومكان الحدث الكلامي (التواصلي) ، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات، والإيماءات وتعبيرات الوجه.

6- القناة: كيف يتم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة...

7- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

8- شكل الرسالة: ماهو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظة، خرافة...

9-المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف.

10- الغرض: أي ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي.

وهذه الخصائص العشر للسياق يذكرنا بعضها بمخطط الاتصال عند جاكبسون، حيث يحتوي على المرسل والمتلقي وهما طرفان في أي مخطط اتصال، كما أن هناك تشابها في القناة والنظام عند هايمز، أو القناة والرموز المشتركة عند جاكبسون.

المبحث الثالث: دلالة السياق وأنواعه .

أولاً: دلالة السياق.

إن المهمة الكبرى للسياق هي منع تعدد المعاني، بحيث يشكل العامل الحاسم الذي يحدد معنى اللفظ وهذا ما أشار إليه فنديس قائلاً : "إننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقاً" . (1)

ويمكن تعريف دلالة السياق بأنها: فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده. كما نجد تعريفاً لدلالة السياق عند الدكتور يوسف العيساوي يصف فيه دلالة السياق بالقرينة، ويشير في تعريفه إلى أجزاء السياق وهما: السباق واللاحق، كما يشير إلى نوعي السياق المقامي والمفالي، حيث يقول: " قرينة توضح المراد - لا بالوضع - تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود، أو سابقه " (1).

ثانياً: أنواع السياق.

تتعلق هذه الجزئية بالسياق في القرآن الكريم، فالسياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليها، بمعنى أن هناك: سياق الآية، و سياق النص، و سياق السورة، و السياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافئة حول إيضاح المعنى وهذا تفصيلها: (2)

النوع الأول: سياق الآية.

وفي هذا النوع يكون النظر فيما يكون الغرض في الآية، فإذا كان هناك خلاف في معنى الآية، فإننا ننظر في السياق، كما إذا حصل لفظ مشترك لا يتبين إلا من سياق الآية. مثال ذلك: لفظ الإحسان الذي يطلق على الإسلام، والعفاف، والحرية، والتزويج (3). ويتحدد أيها المعنى بالسياق:

ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا أَحْصَنَ فَإِنْ أَتَيْتَ بِفَحِشَةٍ فَعَلَيْنَّ نَصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ (النساء 25) المراد بالإحسان هنا التزويج لدلالة السياق. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصه: والأظهر والله أعلم -: أن المراد بالإحسان هاهنا التزويج، لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى:

1 - يوسف العيساوي، أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1423، 1 هـ، ص 377.
2 - عبد الوهاب أبو صافية الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، دار عمار للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 1409 هـ، ص88 بتصرف.
3 - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1413 هـ، ج1، ص 279-280.

﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (النساء 25) ، والله اعلم، والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله : ﴿فَإِذَا أَحْصِنَّ﴾ أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره
 ا. هـ محل الغرض منه بلفظه " (1) .

وقد اتفق ابن عباس والشنقيطي - رحمهما الله - على تحديد المعنى بدلالة سياق الآية.

النوع الثاني: سياق النص.

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيرا في سياق القصص، فيكون الترجيح بناء على سياق النص.

مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾ (البروج 13).

يقول النحاس: " في معناه قولان، قال ابن زيد: يبدي خلق الخلق، ثم يعيدهم يوم القيامة، وعن ابن عباس: يبدي العذاب في الدنيا، ثم يعيده عليهم في الآخرة.
 قال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى، لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا، ولهم عذاب جهنم " (2) .

و قد يتعين المحذوف، بناء على سياق النص كذلك.

مثاله: قال المقدسي (أبو شامة) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا

سَافِلَهَا﴾ (هود 82) : " أي : عالي مدائن قوم لوط، ولم يتقدم لها نكر، ولكن علم ذلك من سياق القصة "

وفي سياق النص يتبين وجه الصواب من أقوال العلماء، وذلك حين يكون السياق مبينا عدم صحة قول، ومبينا صواب غيره.

1 - أضواء البيان، ج1، ص 280.

2 - أبو جعفر احمد بن محمد النحاس، إعراب القرآن، تح، زهير غازي، عالم الكتب، الرياض، ط3، 1409 هـ ، ج5، ص194.

3- عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، إبراز المعاني من حرز المعاني في القراءات السبع، تح ، إبراهيم عطوة، مكتبة المصطفى الإلكترونية، دت، ج2، ص 250

مثال ذلك: قول الشنقيطي: " قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولا، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على عدم صحة ذلك القول ومن أمثله قول بعض أهل العلم: إن أزواجه (ص) لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب 33) ، فإن قرينة السياق صريحة في دخولهن، لأن الله تعالى قال: ﴿قُلْ لِّأَزْوَاجِكِ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ﴾ (الأحزاب 28) ، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ " .

ثم قال بعده: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب 34) " (1)

فقد استند الشنقيطي إلى سياق النص، لأنه كان في أزواج النبي (ص)، فالسابق للآية فيهن، واللاحق كذلك، فوجب أن يدخلن في الآية.

النوع الثالث: سياق السورة .

لقد نظر العلماء في سياق السور، وبحثوا عن الغرض الرئيس الذي تدور عليه السورة، ومن الأمثلة التي تبين أهمية دراسة سياق السورة:

- فابن القيم بحث وجه مناسبة الأمثال التي وردت في سورة التحريم لسياقها، فإن الله أورد فيها شأن امرأة نوح وامرأة لوط فيقول: " في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي (ص) والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله (ص) ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله (ص) ، كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما " (2).
- كما بين ابن تيمية وجه المناسبة بين إيراد حقوق النبي (ص) ، وحقوق أهل بيته في سورة الأحزاب، وبين ذكر غزوة الأحزاب في السورة وهي مناسبة خفية إلا إذا عرفنا سياق السورة.

1 - أضواء البيان، ج6، ص 576- 577 .

2 - ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، تح ، إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، 1406 هـ ، ص57.

قال ابن تيمية عن سورة الأحزاب: " وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزوة التي نصر الله فيها عبده، وأعز فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم، ذكر فيها خصائص رسول الله (ص) وحقوقه وحرمة أهله وحرمة أهله الذي نصره الله فيها بغير قتال". (1)

فقد تبين من سياق السورة وجه المناسبات التي قد تكون غير واضحة.

النوع الرابع : سياق القرآن .

قال صاحب كتاب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: " أما السياق القرآني، فإننا نقصد به أمرين:

- 1- الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي، والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته .
 - 2- الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها، مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام، ولحكمة بلاغية تتصل بأغراض السورة " (2).
- ومن أمثله رفض الزمخشري أن يكون معنى النكاح الوطء، وبين المعنى الصحيح معتمدا على سياق القرآن، وأورد الآية الكريمة: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ (النور3).

يقول - رحمه الله - : " قيل المراد بالنكاح الوطء، وليس بقول، لأمرين، أحدهما: أن هذه الكلمة أينما وردت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد. والثاني: فساد المعنى وأداؤه إلى قولك: الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان " . (3).

1 - مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 28، ص 433.

2 - عبد الوهاب أبو صافية الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، ص 89.

3 - الزمخشري، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ، ج3، ص 207.

المبحث الرابع: تأصيل النظرية السياقية في التراث العربي.

أولاً: السياق عند اللغويين.

إن الذي يصفه اللغويون وتكشفه اللغة نفسها أن الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية، الأمر الذي أوجب أن يكون هناك دال على المقصود من متعدد المعنى.

فقد قيل لأبي عمرو بن العلاء: أكانت العرب تطيل؟ فقال: نعم لتبلغ، قيل: أفكانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها⁽¹⁾.

و كان اللغويون قد عنوا بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها فتطرق سيبويه بعد أن أشار إلى أقسام الألفاظ من حيث الترادف والاشتراك... إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام فقال: "فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسأتيك غدا.

وأما المحال: فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسأتيك أمس. وأما

المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر....

وأما المستقيم القبيح أن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت،

وكي زيدا يأتيك، و أشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سأشرب ماء البحر أمس⁽²⁾

فالكلام المستقيم إما حسن أو كذب أو قبيح، بعد أن لا يكون المحال ابتداء كما يرى

أبو الحسن الأخفش⁽³⁾ (ت 215هـ).

و إذا كانت الدلالة المعجمية للألفاظ متعددة، فإن اللغويين أشاروا إلى أن ذلك التعدد

لا يكون إلا خارج السياق، أما في السياق فإن الدلالة واحدة.

قال الأنباري (ت 328 هـ): "إن كلام العرب يصح بعضه بعضاً، ويرتبط أوله

بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع

1 - الخصائص، ج1، ص 25 .

2 - سيبويه، الكتاب، تج ، عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط2، 1979م، ج1، ص25 .

3 - الكتاب، قول أبي الحسن الأخفش في الهامش، ج1، ص266

اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحداً⁽¹⁾.

وإذا كان الاستعمال يحدد دلالة اللفظ بالسياق الذي يرد فيه، وهو ما يسبق اللفظ وما يلحقه فإن فيه إشارة إلى سياق النص الذي يحدد الدلالة في المتعدد. ويشير ابن عصفور (ت 669هـ) إلى هذا في حديث له حول معاني الحرف (حرف المعنى) بقوله: "وأما الحرف فلا يعطي في حين واحد أكثر من معنى واحد في غيره، فإن دل الحرف على معنيين فصاعداً نحو "من" التي تكون للتبويض، ولابتداء الغاية، ولاستغراق الجنس، وما أشبهها من الحروف، فإنما يكون ذلك في الأوقات مختلفة، ألا ترى أن الكلام الذي تكون فيه "من" مبعوضة لا تكون فيه لابتداء الغاية"⁽²⁾.

و مع ذلك حوت كتب النحو إشارات لغير قرينة الإعراب من القرائن النصية الأخرى، كما حوت إشارات إلى الترابط في سياق الجملة أو الجمل، ما يعني وعيهم بسياق النص، وإن لم يشيروا إليه بلفظه كمصطلح، ولكنهم اهتموا بالجملة من حيث ترتيبها، وارتباط ألفاظها، وتامها، فأشاروا إلى الرتبة وأهميتها دلاليًا. فقال ابن جني: "ويدلك على تمكن المعنى في أنفسهم، وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة، وذلك لقوة العناية به، فقدموا دليلاً ليكون ذلك أمانة لتمكنه عندهم: وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل، إذ كن دلائل على الفاعلين، من هم؟ وما هم؟ وكم عددهم؟ نحو أفعَل، ونفعل و فعل..."⁽³⁾

كما كان نظرهم في تمام الجملة منصبا حول ما يضمّر أو يظهر من الأفعال أو الأسماء فذكروا (النحاة) في الفعل عن إضماره أو إظهاره ثلاثة أضرب: "ظاهراً لا يحسن إضماره، ومضمّر مستعمل إظهاره، ومضمّر متروك إظهاره"⁽⁴⁾.

1 - أبو بكر الأنباري، الأضداد، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1960م، ص2.
2 - ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تح، صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1400 هـ، ج1، ص89.
3 - الخصائص، ج1، ص266.
4 - ابن السراج، الأصول في النحو، تح، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1405، ج2، ص247.

قال ابن السراج (ت 316 هـ): "الأول الذي لا يحسن إضماره، ما ليس عليه دليل من لفظ ولا حال مشاهدة، لو قلت: "زيدا" و أنت تريد: "كلم زيदा"، فأضمرت ولم يتقدم ما يدل على "كلم"، و لم يكن إنسان مستعدا للكلام لم يجز، وكذلك غيره من الأفعال .

والثاني المضمرة المستعمل إظهاره: هذا الباب إنما يجوز إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بما يضمه، فمن ذلك ما يجري في الأمر والنهي، وهو يكون الرجل في حال ضرب فتقول: "زيدا، ورأسه"، وما أشبه ذلك تريد: "اضرب رأسه" و تقول في النهي: "الأسد الأسد"، نهيته أن يقرب الأسد" (1).

والمثال الأخير فيما هو متروك إظهاره.

ويلاحظ أن ما ترك إظهاره، وما أضمر إظهاره مستعمل أو الظاهر الذي لا يحسن إضماره إنما تحكمها الحال المشاهدة كما سماها ابن السراج.

وإذا كان هذا في حذف الفعل فإن حذفه أو حذف غيره إنما شرطها أن توجد القرينة الدالة على المحذوف من خارج النص أو الجملة وهي الحال كما يقول ابن جني: "قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته" (2).

ففي كلام ابن جني دليل و إشارة واضحة إلى سياق النص، أو الموقف، وإن كانت مصطلحات الأوائل غير ما يشيع في عصرنا من مصطلحات.

وهيئة المتكلم واحدة من مكونات سياق الموقف أو لاها النحاة عنايتهم، يقول ابن جني حول حذف الصفة ودلالة الحال عليها: "و قد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل، وكان هذا إنما حذفت الصفة فيه لما دل من الحال على موضعها، وذلك أن تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته.

1 - الأصول في علم النحو، ج 2، ص 248 .

2 - الخصائص، ج 2، ص 326 .

وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة، ولتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، وعليها، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك .
وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكن الصوت بإنسان وتقممه، فتستغني عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك.
وكذلك إذا ذمته ووصفته بالضيق فقلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه، فيفي ذلك عن قولك: إنساناً لئماً أو لحزاً أو مبخلأ أو نحو ذلك⁽¹⁾.
وقد يكون من حال المتكلم حركة يديه ووجهه وهيئته بكاملها، قال ابن جني حول قول نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي:

تقول – وصكت وجهها بيمينها – *** أبلي هذا بالرحى المتقاعس

"قلو قال حاكيا عنها: أبلي هذا بالرحى المتقاعس – من غير صك الوجه –
لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكراً، ولكنه لما حكى الحال فقال: وصكت وجهها، علم بذلك قوة إنكارها، وتعاضم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدت لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: ليس المخبر كالمعائن"⁽²⁾.

ومما مر من إشارات النحاة إلى السياق بنوعيه (سياق النص/سياق الحال) فإنه يؤدي إلى القدرة على تقدير الناقص وتحديد المتعدد ويقوم على حاسة المعنى.

ثانياً: السياق عند البلاغيين.

يرى البلاغيون أن الألفاظ تنتهي، والمعاني لا تنتهي، حيث ذكر الجاحظ: "أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسطة إلى غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة"⁽³⁾.

من هنا لا بد من حصر الدوال اللفظية وغير اللفظية عن تلك المعاني غير المتناهية، حيث ذهب الجاحظ إلى أن أصناف الدلالات غير المعاني من لفظ وغير لفظ

1 - الخصائص، ج1 ص 372 ، 373 .

2 - الخصائص، ج1، ص 246، 247 .

3 - الجاحظ ، البيان والتبيين، تح ، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، دت، ج1، ص76 .

خمسة: " أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بآئنة عن صورة صاحبها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعمما يكون منها لغوا وبهرجا، وساقطا مطرحا "(1).

نستشف من هذا أن الحركة دالة، ودلالاتها مهمة حين تصاحب اللفظ يقول الجاحظ: " والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط "(2).

فهية المتكلم - كما سبقت الإشارة - إذا صاحبت اللفظ كانت جزءا منه، وقد تنوب عنه على رأي الجاحظ، وهي عنصر من عناصر سياق الموقف، أما النصبة فهي: " الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد، ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجوامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأول: سل الأرض فقل من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا"(3).

ومما سبق يبدو أن البلاغين يوحدون بين مصطلحي الحال والمقام حيث يستخدمونهما مترادفين، يقول الخطيب القزويني: "مقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التقديم يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبها مقام "(4).

1 - البيان والتبيين ج1، ص76 .

2 - البيان والتبيين، ج1، ص78 .

3 - البيان والتبيين، ج1، ص81 .

4 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1390 هـ، ص 7-8 .

وقد كان البلاغيون والنقاد يحتفلون بالقول المشهور " لكل مقام مقال " الذي ورد في بيت للحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

تحنن علي هداك المليك **** فإن لكل مقام مقالا (1).

فقد ذهب بشر بن المعتمر (ت 210 هـ) - فيما نقله عند الجاحظ - إلى أن : " المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، إحرار المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال " (2).

كما نقل الجاحظ عن ابن المقفع قوله: "إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك من رضا الحاسد والعدو...." (3).

ويبقى مفهوم مقولة " لكل مقام مقال " قارا عند ابن رشيق الذي ذهب إلى أن : " أول ما يحتاج إليه الشاعر - بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحدة الكفاية - حسن التأنى والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، و إن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، و إن استعطف حن ورجع، ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر، ومغزاه الذي به تفاوت الناس، وبه تفاضلوا " (4). فابن رشيق يربط المقال بأغراضه التي هي (المقام) حيث قال تلو ذلك مباشرة: " وقد قيل: لكل مقام مقال " .

كما فرق عبد القاهر الجرجاني بين نوعين من النظم، "النظم في الكلمة المفردة وهو النظم الصوتي للفظ، والنظم النحوي للألفاظ، يقول: " وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتضى في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كان قد قال

1 - ديوان الحطيئة ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، د ت ، ص72 .

2 - البيان والتبيين، ج1، ص136.

3 - البيان والتبيين، ج1، ص116.

4 - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة

القاهرة، 1383 هـ ، ج1، ص199 .

(ربض) مكان " ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق⁽¹⁾.

في هذا النص إشارة من عبد القاهر إلى أن الحال عند البلاغيين وصف لحال الكلام ومقاماته، وحال المتكلم وحال المستمعين، والفكرة أو الغرض الذي تعبر عنه اللغة، واللغة كما قال ابن جني: " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"⁽²⁾.

والكلمات المعجمية (الألفاظ) وهي مفردة ذات دلالة محتملة من جهة وذات ظلال وارتباط معجمي بعضها ببعض من جهة ثانية مما يستدعي النظم الذي قال عنه الخطابي: " لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"⁽³⁾.

فالتطالب المعجمي والتركيبية فيما بين الكلمات يحقق للنص درجة من الاتساق تجعل النص على قدر من الفصاحة والبلاغة فتتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما يقول البلاغيون، والمطابقة تكون بين داخل النص أي التوافق بين أجزائه، وخارج النص الذي هو الحال أو المقام.

وهنا تتضح مهمة السياق كونه حارسا أميناً للمعنى.

ثالثاً : السياق عند المفسرين.

احتقى المفسرون بالسياق كثيراً فهذا أبو حيان الأندلسي يركز على علوم اللسان حين يذكر كيفية النطق والمدلولات والأحكام الإفرادية والتركيبية، عندما يعرف التفسير بقوله: " علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتنمات ذلك....."⁽⁴⁾.

- 1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1401 هـ، ص 49.
- 2 - الخصائص، ج1، ص34.
- 3 - الرمانى والخطابى وعبد القاهر الجرجانى، ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن، تح، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، بيروت، ط4، دت، ج1، ص36.
- 4 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ، ج1، ص121.

ويورد الزركشي تعريفا للتفسير حين يقول: " علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد (ص)، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه...." (1).

أما السيوطي فيورد تعريفا يذكر فيه القرائن والمقام مما يخدم موضوع السياق الذي هو موضوع هذا البحث، إذ يقول: " التفسير كشف معاني القرآن، وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية أو شرعية بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام" (2).

وللمفسرين في البحث عن معاني القرآن الكريم طريقان وهما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، أما التفسير بالمأثور فيعتمدون فيه على القرآن ذاته، والسنة، وأقوال الصحابة، يقول ابن كثير: " إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له فإن لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، لما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل، لا سيما علماءهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين" (3).

فهذه الطرق الثلاثة لتفسير القرآن الكريم تعتمد على السياق بنوعيه، فهي تعتمد استقراء النصوص (سياق القرآن) فإنه يفسر بعضه بعضا، أو السنة التي إن لم تكن فعلا أو تقريرا فلا بد أن تكون قولاً أي نصاً. أما سياق الموقف فيبدو في أقوال الصحابة في التفسير، لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال، التي تتمثل في أسباب النزول، فكثير من الآيات ارتبطت بمواقف وأحوال اقتضت نزولها، فكانت معينا على فهم المراد من الآية، قال ابن تيمية: " ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب" (4).

وأمثلة تفسير القرآن بسبب النزول كثيرة نذكر ما أورده السيوطي حول قوله تعالى: ﴿إِنَّ الصِّفَا وَالْمَرَّةَ مِنَ شَعَائِرِ اللَّهِ ۗ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ

1 - البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص 105.

2 - السيوطي، التحرير في علم التفسير، تح، فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم الرياض، ط 1، 1402 هـ، ص 38.

3 - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1388 هـ، ج 1، ص 3.

4 - مجموع الفتاوى، ج 13، ص 339.

يَطُوفُ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾. (البقرة 158)، حيث قال: " فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض وقد ذهب بعضهم إلى عدم فريضته تمسكا بذلك، وقد ردت عائشة (هذا الفهم) بسبب نزولها، وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما، لأنه من عمل الجاهلية" (1).

وأما التفسير بالرأي فهو: " تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها واستعانتها في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ... وغير ذلك" (2).

ويبسط صاحب كتاب التفسير والمفسرون الكلام حول الاختلاف في هذا النوع من التفسير بين مؤيد له وناه عنه كما يقسمه إلى جائز ومذموم وقد اعتمد التفسير بالرأي عدد من المفسرين أمثال الزمخشري في الكشف والرازي في مفاتيح الغيب، وأبو حيان في البحر المحيط (3).

كما اعتنى المفسرون بالمكي والمدني من القرآن وهم بذلك يهتمون بحال المخاطب أثناء التفسير، ومعرفة مكان وزمان نزول القرآن الكريم نوع من العلوم القرآنية، وقد كان للمفسرين في معرفتهم للمكي والمدني طريقتان تحدث عنهما السيوطي في الإتيان (4):

الأول منهما سماعي، ومعرفته كمعرفة أسباب النزول، والآخر قياسي وهو مبني على دراسة موضوعية لما ضمه المسموع من المكي والمدني، فلما عرف موضوعاهما قيس ما لم يسمع على أسلوب ما سمع بعد تحليله من حيث الصياغة والمضمون.

وتكمن أهمية معرفة المكي من المدني في القرآن الكريم في أن سياق الحال بين مكة والمدينة مختلف، فأهل مكة قبل الفتح كانوا كافرين جاحدين، وأهل المدينة في أغلبهم مؤمنون بالرسالة. فافتضى حال الرسول (ص) مع أهل مكة تسليته وتثبيته على الدعوة بذكر ما لقيه الأنبياء قبله الذين أرسلوا إلى الأمم السابقة من العنت والمشقة والعناد مع

1 - السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م،

ج1، ص109.

2 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1409 هـ، ج1، ص246.

3 - التفسير والمفسرون، ص246 بتصرف.

4 - الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص76.

أقوامهم، ومجادلة المشركين في أمور الوحدانية والبعث، والجنة، والنار ... والإشارة إلى الإعجاز القرآني ...

بينما كان حال أهل المدينة يقتضي تبعا لإيمانهم وتصديقهم قبول أمور التشريع في العبادات والمعاملات.... كما اقتضى الوجود المكاني لأهل المدينة المجاور لفريقين من غير المؤمنين بالرسالة، وهم المنافقون وأهل الكتاب أن يكون فيه (أي المدني) ذكر لمواقفهم وإنكارهم، وتجنبيهم على نبوة محمد (ص)⁽¹⁾.

والمفسرون لم يفقوا عند معرفة اللفظ في مستواه المعجمي، ولم يتوقفوا عند الإعراب الذي أجاده، إنما تجاوزوا ذلك لتحليل النص الكامل للآية على نحو وصل إلى الحديث عن التناسب بين الآيات، أو بين السور ونجد ذلك فيما نقله السيوطي: " يحكى أن أعرابيا سمع قارئاً يقرأ ﴿فَإِنْ زَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (البقرة 209) و الصحيح ﴿أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فأنكره، وقال: " إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه " ⁽²⁾.

فالأعرابي ربط بين أول الآية وآخرها ربطا تجاوز المعنى المعجمي في موضعه إلى العلاقة بين الكلمات معجميا.

ومن أمثلته كذلك ما روي عن النبي (ص) حين بلغت قراءته (ص): ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ (المؤمنون 14) . قال عبد الله بن أبي سرح: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال (ص): اكتب. هكذا نزلت ⁽³⁾ .

وفائدة علم المناسبات كما يشر الزركشي: " جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء " ⁽⁴⁾.

1 - مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1400 هـ، ص 64 بتصرف .

2 - التحرير في علم التفسير، ص 290 .

3 - الطيبي، التبيان في علم المعاني والبدیع والبيان، تح، هادي عطية الهلالي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1407 هـ، ص 396 .

4 - البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 131 .

وهذه الإشارات التناسبية المبنية على مضمون الآية أو السورة إنما تكون بعد تحليل الآيات والصور نصيا وفق اعتبارات لغوية (سياق النص) ووفق اعتبارات خارجية (سياق الموقف)، من أسباب النزول، ومفاهيم الآيات، وعلاقات الخطاب بالمخاطبين.

رابعاً: السياق عند الأصوليين.

لما كان الأصوليون من أشد علماء الشريعة حرصاً على الوصول إلى الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، فقد اهتموا بالسياق اهتماماً بالغاً، كونه وسيلة للكشف عن المعنى.

فالشافعي يشير إلى أحد نوعي السياق وهو سياق النص وإن لم يسمه بالمصطلح المعروف في عصرنا حين يقول: " وتبتدئ (أي العرب) الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله " (1).

أما الغزالي فيعرف أصول الفقه أو ما يعرف بالمتضايقين بقوله: " عبارة عن أدلة هذه الأحكام، وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل " (2).

وأصول الفقه عند الكلوزاني هي: " الأدلة والطرق ومراتبها وكيفية الاستدلال بها " (3).

هذا البحث في الدليل قاد الأصوليين إلى تعريف اللغة، ومن ثم الحديث عن نشأتها، وهو موضوع من أهم ما تطرق إليه الأصوليون، فلا ينفك أصولي من تقرير الخلاف في هذا الموضوع بين أهل التوقيف والاصطلاح في نشأة اللغة (4).

فالأصوليون يعدون علم العربية ذا أهمية بالغة بالنسبة للأصولي، يقول الأمدي (ت 631) : " وأما علم العربية فلتوقف دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة والمجاز،

1 - الشافعي، الرسالة، تح، أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1399 هـ، ص 52.

2 - الغزالي، المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1403 هـ، ج1، ص5.

3 - الكلوزاني الحنبلي، التمهيد في أصول الفقه، تح، مفيد أبو عميشة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط1406، ج1، ص6.

4 - ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، قدم له إحسان عباس، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400 هـ، ج1، ص30.

والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحذف والإضمار، والمنطوق والمفهوم، والاقتضاء والإشارة، والتنبيه والإيماء، وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية⁽¹⁾.

وقريبا من هذا يذهب الغزالي إلى أن النحو: " يفهم به خطاب العرب، وعادتهم في الاستعمال إلى حد يميز صريح الكلام ومجمله، وحقيقته ومجازه، وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده، ونصه وفحواه، ونصه ومفهومه "⁽²⁾

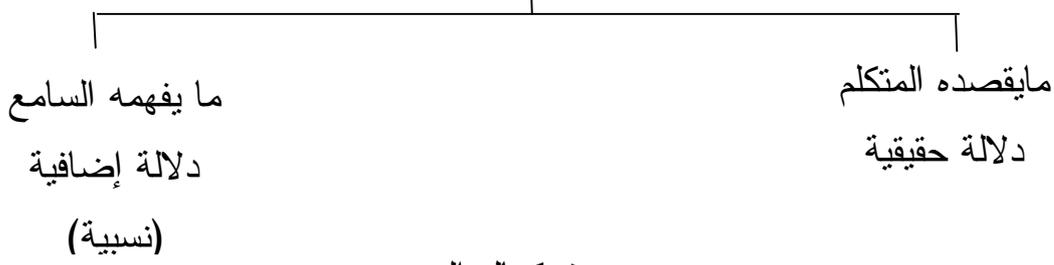
كما يبين فخر الدين الرازي وظيفة من أهم وظائف اللغة وهي الوظيفة الاتصالية بقوله: " اعلم أن الإنسان لما خلق بحيث لا يمكنه أن يستقل وحده - بإصلاح جميع ما يحتاج إليه، فلا بد من جمع عظيم ليعين بعضهم بعضا، حتى يتم لكل واحد منهم ما يحتاج إليه، فاحتاج كل واحد إلى أن يعرف صاحبه ما في نفسه من الحاجات "⁽³⁾.

فالتعريفات والنصوص السابقة تؤكد أن اللغة كانت من القضايا المهمة والمعتبرة عند الأصوليين معرفة وتناولا. كما كان تناولهم للدلالة على نحو من العمق، فنظروا لدلالة الألفاظ باعتبارات مختلفة، المتكلم والسامع، والضيق والانتساع، والحقيقية والمجاز، والوضوح والغموض. وقد لخص طاهر حمودة العلاقات المختلفة للتناول الدلالي عند الأصوليين على النحو التالي⁽⁴⁾:

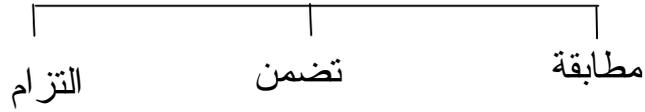
- 1 - الإحكام في أصول الأحكام ، ج1، ص9.
- 2 - المستقصى في علم الأصول، ج2، ص352 .
- 3 - فخر الدين الرازي، المحصول في علم الأصول، تح، طه جابر فياض، الرياض، ط1، 1339 هـ ، ج1، ص261.
- 4 - طاهر سليمان حمودة، دراسة المعني عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية، دت، ص 13 وما بعدها .

الدلالات السياقية للقصص القرآني

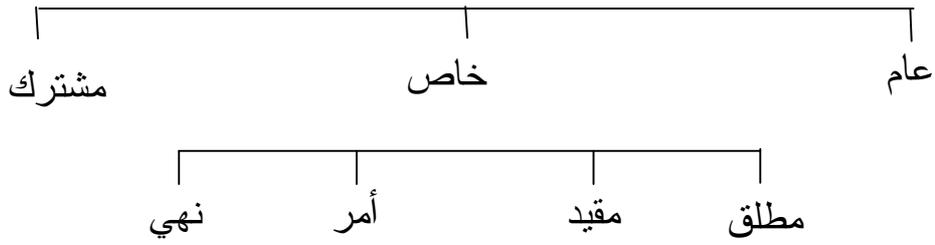
أقسام الدلالة من حيث المتكلم والسامع



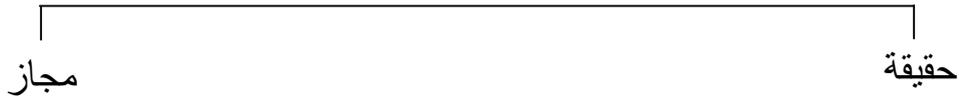
من حيث كمال المعنى



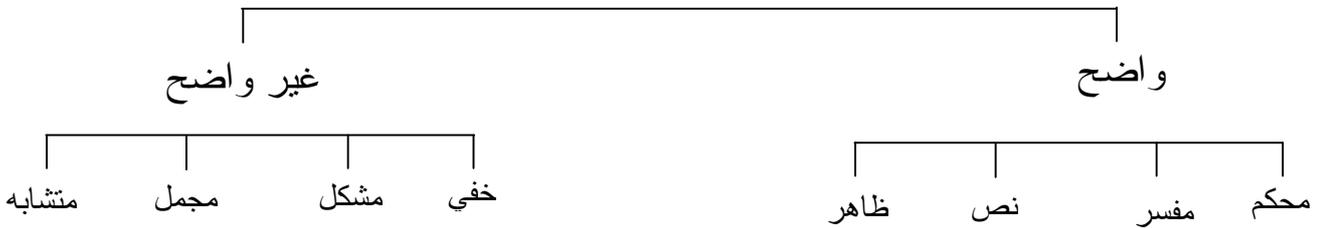
من حيث الشمول والحصص



من حيث الاستعمال (تغير المعنى)



من حيث الوضوح والخفاء



طرق الدلالة عند الجمهور



فمن خلال هذا الرسم البياني فإن الأصوليين قسموا الدلالة على اعتبارات كان في أولها اعتبار المتكلم والسامع وهي من صميم النظرية السياقية، كما يبين اعتبار الاستعمال، واعتبار الوضوح والخفاء، وكذا القول باحتمالية الدليل الذي قال به الغزالي (1). وهو الفهم الأصولي لهذا المحتمل ومعالجة احتماله إبان الاستدلال به في اتجاه الحكم الشرعي.

فمعنى الصيغة عند الأصوليين يتعدد حسب ما استفادوا من السياق فصيغة الأمر (افعل) عدد لها ابن النجار في كتابه شرح الكوكب المنير خمسا وثلاثين معنى أولها في الوجوب وبقيتها لا تدل على الأمر مطلقا وإن كانت الصيغة صيغة الأمر (2).

ومن المعاني التي عددها ابن النجار لصيغة الأمر (افعل) على سبيل التمثيل:

- الوجوب: نحو قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُكُورِكَ الشَّمْسِ﴾ (الإسراء 78)

- الندب: نحو قوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ (النور 33).

- الإباحة: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَبِدُوا﴾ (المائدة 2).

- الإرشاد: نحو قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ

مُسَمًّى فَآكْتُبُوهُ﴾ (البقرة 282).

فالسباق كان مرجعيه تفسيرية أساسية عند الأصوليين، فقد أفادوا منه في بيان المراد من المحتمل معولين في ذلك على نوعي السباق: سياق النص وسباق الموقف.

1 - المستصفي في علم الأصول، ج1، ص 340 بتصرف.

2 - ابن نجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، تج، محمد الزحيلي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، 1400 هـ ج3، ص 17 وما بعدها.

المبحث الخامس: حول القصص القرآني.

أولاً: القصص لغة.

لا يبتعد معنى القص عن التتبع والتقصي، سواء تعلق الأمر بتتبع الأثر المادي، أو بتتابع أحداث القصة أثناء الحكيم.

جاء في تاج العروس: "قص عليه الخبر قصصاً، أعلمه به وأخبره، ومنه قص الرؤيا. قص أثره: أي تتبعه، وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، يقال أقصها قصاً، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف 64) أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، وقوله تعالى: ﴿لَحْنٌ نُّقِصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف 3) أي: نبين لك أحسن البيان، وقال بعضهم القص: البيان، والقصص الاسم، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها كأنه تتبع معانيها وألفاظها، ومنه قولهم: "القاص ينتظر المقت، والمستمع إليه ينتظر الرحمة"، وكأنه لما يعترض في قصصه من الزيادة والنقصان، وقيل: القاص من يقص القصص لأتباعه خبراً بعد خبر، وسوقه الكلام سوقاً" (1).

"والقص: فعل القاص إذا قص القصص ويقال في رأسه قصة: يعني الجملة من الكلام" (2).

"والقصص: رواية الخبر المقصوص والأثر، القصاص: القاص للقصص التي تكتب و - الجملة من الكلام و - الحديث و - الأمر و - الخبر و - الشأن. وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال والواقع، أو منهما معاً، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي محدثة" (3).

إذن، فالقصة مفردة، والقصص: جمع وهي المصدر، والقاص: اسم فاعل وهو الذي يقوم بفعل القص والقصاص: صيغه مبالغة، أي كأن القيام بفعل القص هو الإتيان على القصة من جميع جوانبها، والإمام بكافة أطرافها.

1 - الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، دت، مادة (ق. ص.ص)، ج3، ص433.

2 - الصحاح، ج3، ص257.

3 - لسان العرب، ج7، ص74.

ثانيا :القصص اصطلاحا .

أما التعريف الاصطلاحي للقصص فتناولته كتب النقاد والمهتمين بشأن القصة بإسهاب، وتفصيل، لتعدد المدارس من جهة، ولخصوصية القصص القرآني من جهة أخرى.

فالدكتور فضل عباس يرى أن: " القصة: هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة، أو عددا من الحوادث بينها ترابط سردي، ويجب أن تكون لها بداية ونهاية. تقسم القصة إلى قسمين هما:

- القصة الواقعية: تتبع المدرسة الواقعية (REALISME) .

- القصة الخيالية: تتبع المدرسة الخيالية أو الشاعرية كما يسميها بعض أنصار هذا الفن، ولكن التعرض للقصص القرآني من حيث هذا التصنيف إلى قصة خيالية وقصة واقعية يعتبر تجاوزا عما في هذا القصص من إعجاز زمني، لأنها جمعت في روعة بين الحقيقة والخيال وبأسلوب لم ولن يكون له مثيل، هذا ما يسمى بالأسلوب الرومانتيكي في قصص القرآن، وهو أنه مع واقعية هذا القصص فإن أسلوبها المعجز أسبغ عليها من روعة التشبيهات ما جعلها فريدة في نوعها من حيث الجمع بين الخيالية والواقعية" (1).

أما الدكتور شوقي ضيف فيقول: "القصة سلسلة أو سلاسل من الوقائع، سلاسل تلتقي لتكون عملا قصصيا طويلا، لا يكتفى فيه بجزء من الأجزاء، فهي ليست نبذة، إنما هي كل كبير، إنها نهر زاهر فياض بالحياة واسع الرحاب والآفاق، يتدفق القاص فيه كما يريد من غير انقطاع، حتى يصل إلى نهاية قصته، وتتجلى وحدة الأحداث بينة واضحة، والقصة تسمو كلما تغلغت في دراسة الإنسان وواقعه، وأكثرت من عرض دخائله ودخائل الحياة، إنها تنقل لنا الحياة بأكملها، بجليها وتافهها، وحوادثها الصغيرة والكبيرة، لا فرق بين تافه وغير تافه، فكلها تتحول في مخيلة القاص البارع إلى أشياء مهمة مثيرة، وكلمة الأسلوب القصصي لها معنيان: معنى عام يشمل بناء القصة كله لجميع مواده وعناصره، ومعنى خاص يقف عند التعبير، ووسائله اللغوية وخصائصه اللفظية" (2).

1 - عباس سناء فضل، إعجاز القرآن الكريم، ط1، دت، ص24.

2 - شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار الفكر، بيروت، ط1، دت، ص 225 .

كما يعرف أحمد الهاشمي صاحب جواهر الأدب القصص قائلًا: " القصص: معرفة أحوال السابقين، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل، وحرب البسوس، وحرب الفجار، فالقصة قاموس تقرأ منه أحوال الأمة، اهتماماتها، توجهاتها، عقائدها، حياتها الاجتماعية، ووضعها الاقتصادي والنفسي، إذ أن هذه الجوانب مرتبطة بعضها ببعض ارتباطًا وثيقًا " (1).

من التعاريف السابقة، فالقصة بأنواعها كل متكامل من الأحداث المليئة بالحركة، القدرة على نقل حياة الأمم السابقة بكل تجلياتها لتكون عبرة للمتأخرين زمنيا عنها، بأسلوب فني يجعل المتلقي يعيش أحداث القصة كأنه أحد شخصها.

ثالثًا: ما الذي يعنيه القصص القرآني للمسلمين ؟

لقد جرت العادة قديما وحديثا على التعامل مع القصص القرآني بوصفه قصص أنبياء، وكثير من المؤلفات تحمل هذا الاسم، وبما أن القرآن يستعمل القصص لأهداف الدعوة، وليس من أجل القصص في ذاته، فإن قصصه على الرغم من أنها قصص أنبياء فعلا، فإن حكيه لا يخضع لمسار حياة الأنبياء الذين يورد قصصهم، بل يعرض في كل مرة ما يناسب الدعوة المحمدية في مرحلة من المراحل، فالقصص القرآني هو نوع من ضرب المثل، والمثل لا يضرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان، من أجل العبرة، من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل. فكما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجننتين من دون تحديد، وكما يجري حوارا بين أهل الجنة وأصحاب النار، والقيامة لم تقم بعد.... فكذلك الشأن في " قصص الأنبياء " التي يذكرها. إنها للذكر أي للموعظة والعبرة. وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تضرب لموقف أو حال لأن المقصود بالمثل ليس أشخاصه بل مغزاه، فكذلك القصص القرآني في نظرنا، والصدق في هذا المجال، سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة

1- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر، بيروت، د ت ، ج 2 ، ص 22.

لا يلتبس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده (1).

لقد عد الجابري القصص القرآني نوعا من ضرب المثل، وأرجع الصدق فيه إلى مخيال السامع ومعهوده لا إلى مطابقته للحقيقة التاريخية، ورأى أن المثل صادق بنفسه وإن نطق به حيوان أو غيره، وكذلك القصة عنده وهو ما ذهب إليه محمد حسن فضل الله الذي يرى بأن القصة فن قديم جديد محبب للنفوس، قريب من القلوب، متميز في أداء المطلوب، يترك أثره في السامع حيث يقول: "..... لهذا السبب وغيره شغلت القصص حيزا من كتاب الله - سبحانه - لأنها شغلت حيزا من حياة الناس كبيرا فكان في ذلك الكتاب - كتاب الحياة والتشريع - تلبية لحاجات أولئك الناس. وإشباع لرغباتهم، وفي ذلك سر من أسرار صلاحية هذا الكتاب للتشريع والحكم في كل الأزمنة والأمكنة، فالإنسان هو ذات المخلوق إن كان لامعا يشار إليه بالبنان، وإن كان متواضعا في قدراته وإمكاناته... ولو أننا أردنا إقناع شخص أو جماعة بفكرة لكانت القصة هي الطريق الأقصر والأكثر سلامة والأبلغ حجة والأنجح وسيلة، ذلك أن فيها الحوار، والحوار فيه الأخذ والرد، والإيجاب والسلب، ولكن مع ذلك فيه الدليل والحجة، وجاء الإسلام من خلال القرآن الكريم ليكون دين الحوار الذي يتيح للفكر أن يفكر في كل شيء... وعرف المسلمون كيف ينفثون على العالم من خلال ذلك، وكيف ينطلقون إليه في رسالتهم في أجواء الحوار التي تحترم الإنسان الذي يختلف معها لتقوده إلى أفكارها من موقع احترام الفكر والكلمة والموقف" (2).

فهو قد نبه إلى أهمية الحوار وماله من قيمة إقناعية كون أن القصص القرآنية إنما أريد منها العظة، والتذكير، لا السرد القصصي في ذاته ولذاته.

1- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم (الجزء الأول في التعريف بالقرآن)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006 م، ص 258 بتصرف.

2 - محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن. قواعد - أساليبه - معانيه، دار الإسلامية، بيروت، ط1، دت، ص 2-3 (من مقدمة الكتاب).

كما يرى محمد عزة دروزة صاحب كتاب " القرآن والملحدون " أن ما ورد في القرآن من قصص وأخبار الأمم السابقة وأحداثها وأنبيائها وما وقع على الأمم الجاحدة من عذاب الله ونكاله اتصف بخصائص: (1).

_ أولا: لم يكن غريبا إجمالا سماعا أو مشاهدة آثار، أو اقتباسا وتناقلا، وسواء منه ما هو موجود في أسفار وكتب أهل الكتاب وغيرهم المتداولة متماثلا أو زائدا أو ناقصا أو مباينا لما جاء في القرآن، أم ليس موجود فيها مما يتصل بالأمم والأنبياء الذين وردت أسماؤهم فيها مثل قصص إبراهيم المتعددة مع قومه، وتسخير الجن والريح لسليمان، وقارون، والعبد الصالح مع موسى، ومائدة المسيح، أو مما يتصل بغيرهم من الأمم والبلاد العربية وأنبيائها مما يرد أسماؤهم فيها مثل قصص عاد وثمود وسبأ وتبع وشعيب ولقمان وذي القرنين. ولها أمثال في القرآن نورد على سبيل التمثيل: قوله تعالى: ﴿الْم

يَاتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظْلَمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (التوبة 70) .

- ثانيا: أنها لم ترد للقصة ذاتها، وإنما وردت للعظة والتمثيل والتذكير والإلزام، والتنديد والوعيد والتسلية والتطمين. ومن أمثلتها في القرآن قوله تعالى: ﴿الْم يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهُمْ وَهُمْ عَدَاؤُ اللَّهِ عَدَاؤُ الْيَمِينِ ﴿٥٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشْرًا مِثْلُ نَبِيِّنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (التغابن 56).

- ثالثا: أنها وردت بأساليب متنوعة تتحمل وجوها للتأويل ويكون عقل الإنسان عاجزا عن تأويلها، ويكون من واجب المسلم المخلص أن يكتفي بالقول (أما به كل من عند ربنا) ومن الأمثلة على ذلك قصة خلق آدم، فقد ذكرت آية البقرة (30) أن الله سبحانه أراد من خلقه أن يجعله خليفة في الأرض، ومع ذلك فإنه أسكنه الجنة هو وزوجته

1- محمد عزة دروزة، القرآن والملحدون، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط2، 1980، ص152 وما بعدها بتصرف .

ولم يخرجهما منها إلى الأرض إلا عقوبة على أكلهما من الشجرة الممنوعة كما جاء في آيات البقرة (35-37) والأعراف (11-27) وغيرها.

رابعاً: أنواع البنى القصصية في القرآن الكريم.

يمكن التمييز بين شكلين للبنية القصصية في الخطاب القرآني:

الشكل الأول: القصة المغلقة.

القصة المغلقة أو المكتملة يقول الدكتور سليمان عشارتي صاحب كتاب الخطاب القرآني: <<القصة المغلقة أو المكتملة: ونقصد بها القصة التي استقل بها موطن قرآني واحد، في سورة قرآنية فريدة، ولم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك الموطن، وقد وردت على هذا الشكل القصصي كل من قصة يوسف، وقصة أصحاب الكهف، وقصة سليمان والملكة بلقيس، وغيرها من القصص التي أخذت إطاراً مثالياً كقصة صاحب الجنتين... وقد ترد القصة المغلقة ضمن تداعٍ قصصي، تسوقه السورة، من أجل إنجاز فاعلية تبليغية، تستمد من إحيائها طاقة تأثيرية، من ذلك ما ورد في سورة الكهف من قصص مغلقة، تمثلها قصة أصحاب الكهف (من الآية 9-25) وقصة صاحب الجنتين (من الآية 32-44) وقصة ذي القرنين (من الآية 83-98)، فهذه القصص المتلاحقة جميعاً قصص مكتملة، مغلقة، لم نلف لها حضوراً استدعائياً في سياق قرآني آخر، باستثناء قصة موسى والعبد الصالح، التي هي قصة مفتوحة لأنها تفيدها بجانب آخر من جوانب سيرة موسى ووقائع حياته >>. (1)

الشكل الثاني: القصة المفتوحة.

يقول الدكتور سليمان عشارتي: <<ونقصد بها ذلك السياق السردي المتعلق بسيرة نبي أو رسول، والمتواتر في أكثر من سورة، وبتنويجات إخبارية وسردية تتجدد كثيراً أو قليلاً من سياق لآخر، سواء على مستوى الشكل الخطابي أو من حيث الإفادات التي يحملها >>. (2)

1 - سليمان عشارتي، الخطاب القرآني (مقاربة توصيفية لجمالية السر الإعجازي)، ديوان المطوعات الجامعية الجزائر، ط 1998، ص 69-70 بتصرف.

2 - الخطاب القرآني، ص 70.

فالشكل الأول لبنية القصة القرآنية يمثل تلك القصص التي ترد في موقع قرآني واحد لضرب مثل أو تحقيق عظة، أما الشكل الثاني فيمثل تلك القصة التي ترد في مواطن متعددة يستدعيها السياق في كل مرة، والهدف من الشكلين القصصيين واحد، يقول الدكتور محمد عابد الجاري: >>إن القرآن كما أنه ليس كتاب قصص بالمعنى الأدبي الفني المعاصر، فهو أيضا ليس كتاب تاريخ بالمعنى العلمي المعاصر للتاريخ. إنه مرة أخرى كتاب دعوة دينية... إن الحقيقة التي يطرحها القصص القرآني هي العبرة، هي الدرس الذي يجب استخلاصه>> (1).

وبالعودة إلى الشكل الثاني للبنية القصصية في الخطاب القرآني نجد الدكتور سليمان عشارتي قد وضع خطاطة لبنية القصة المفتوحة ومثل بقصة موسى التي هي موضوع هذا البحث يقول: >>فسورة الأعراف مثلا، عندما تتطرق إلى قصة موسى، فإنها تصوغها في بنية شكلية احتلت مساحة تجتاز السياق ما بين الآية 105 والآية 159، ويمكن أن نشير إلى وقائعها السردية في الآتي:

- موقف موسى حيال فرعون: دعوته إياه إلى توحيد الله ومطالبة فرعون بالحجة.

- ظهور موسى على السحرة، وانتقام فرعون من المؤمنين .
- النعمة الإلهية من الكفرة، ومعاقبتهم بالجوائح، ثم بالتخريق .
- تذبذب إيمان بني إسرائيل .
- غياب موسى عن قومه للقاء ربه وارتداد بني إسرائيل.
- تكليم الله لموسى ومدّه إياه بالألواح المكتوبة.
- عودة موسى إلى قومه، وتعنيفه أخاه على ما وجد عليه القوم من ردة.
- فرز موسى للمؤمنين من قومه، ملاقاته الله للاستغفار والتوبة.
- المن الإلهي على موسى وقومه المؤمنين بالغيث وبالخيرات>>. (2)

1 - مدخل إلى القرآن الكريم، ص259.

2 - الخطاب القرآني، ص73-74.

فالمسار القصصي قد عرض واقعة موسى وفرعون، ومآل فرعون، ثم واقعة موسى بعد النجاة، وردة قومه بعد إيمانهم، والمن والنعيم على المؤمنين.

كما مثل الدكتور سليمان عشارتي للقصّة المفتوحة بقصة موسى لما أسماه:

<< الحدث التراكمي في القصة المفتوحة >> بثلاث سور قرآنية هي البقرة، ويونس، وطه حيث قال: << فالفضاءات القصصية التي سردها هذه السور الثلاثة عن حياة موسى، جاءت متفاوتة من حيث مستوى الحديث إذ انحصر الحيز السردي في السورة الأولى، حول وقائع أعقبت النجاة من فرعون، وجاءت حديثية الحيز السردي في السورة الثانية توجز وقائع البعثة حتى واقعة النجاة، فالتفاوت بين المسرد الأول في سورة البقرة والمسرد الثاني في سورة يونس: يتمثل في سكوت الأول عن وقائع امتدت من البعثة إلى حين خروج النبي موسى مع قومه من أرض فرعون، أما حديثية الحيز السردي الثالث في سورة طه، فإنها الأوفى والأكثر امتداداً، فهي تغطي سيرة الفعل من مولده إلى زمن ارتداد قومه، فقد استوفت أطواراً من حياة موسى قبل البعثة (المولد، والتنشئة) وبعد البعثة (استخفاره لقومه، وتعنيفه لأخيه هارون بعد رجوعه من لقاء ربه). >> (1)

فالقصة المفتوحة تظل حديثية مفتوحة على ما ترفدها به السياقات السردية المتعلقة بموضوعها في السور التي يستدعي فيها الخطاب القرآني الموضوع السردي الخاص بتلك الحديثية.

خامساً: دلالة الألفاظ في القصص القرآني.

1- الدلالة السياقية:

تعد السياقات حصيلة للنصوص التي تكتب أو تقال، ويتم تكوينها وتحويلها وتعديلها دائماً بالنصوص المستخدمة في موقف دون آخر، ومن هنا نجد أن النص والسياق يتكاملان فيما بينهما، فوحدات النص القصصي الجمالية وغير الجمالية مثلاً ينبغي أن ترتبط في سياقها، ويتعين في النص أن يتم شكله ومحتواه إجمالاً بالتماسك والوثاقة لتبرز

قبة السياق في تحديد دلالة الألفاظ المتأثرة بالمقام والمقال ليتحدد ما هو مقصود ضمنا بالألفاظ⁽¹⁾.

فالألفاظ من خلال هذا النص تملك دلالة صريحة وأخرى ضمنية تتحدد بالسياق الذي ترد فيه، بل إن اللفظة الواحدة وفي السياق الواحد قد تفهم على أكثر من وجه، فلفظة (رؤيا) وردت في سياق واحد في القرآن الكريم فيما رأى ملك مصر بجلاء ووضوح، ورآه ملؤه (أضغاث أحلام): لأنها بدت لهم كذلك، ولأنهم لم يدركوا دلالة رموزها، في حين نجد الرسول حينما جاء إلى يوسف وطلب منه أن يفنيه في رؤيا الملك لم يستعمل لفظ رؤيا أو حلم أو أحلام وإنما قال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف 46).

فذكر رموز الرؤيا مباشرة، لأنه يعلم أن يوسف - عليه السلام - يعبرها تعبير عين اليقين فكأنها واقع محسوس مشاهد⁽²⁾.
والأمثلة على هذا النوع من دلالة الألفاظ في القرآن الكريم كثيرة، لأن الدلالة السياقية في القصص القرآني تتعلق بمعاني الألفاظ حين ترد في سياقات يكون معنى اللفظ فيها جزء من كل، لأن المعنى الإجمالي للسياق يتحدد بالأوامر التي تتعقد بين الألفاظ مؤلفة سياقاً متكاملًا لا يستغني فيه لفظ عن لفظ ولا معنى عن معنى⁽³⁾.

2- الدلالة الاقترائية .

يقول الدكتور عماد عبد يحيى: ".... الدلالة الاقترائية تبعد الألفاظ عن المعاني العائمة غير الدقيقة وتكشف عن أبعاد الشخصيات في القصة، وفي وصف الأحداث وبيان طبائعها" (4).

1- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر، عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1، 1978، ص228.

2- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والنجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، دار العودة بيروت، 1981 م، ص378.

3- عماد عبد يحيى، البني والدلالات في لغة القصص القرآني، دار دجلة الأردن، ط1، 2009، ص230.

4- البني والدلالات في لغة القصص القرآني، ص255.

والأمثلة على الدلالة الاقترانية في القرآن الكريم كثيرة تمثل لها باقتران لفظ "سلطان" بلفظ "مبين" في مواضع كثيرة نورد بعضها:

_ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (هود 96).

_ ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (المؤمنون 45).

_ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (غافر 23).

_ ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ﴾ (الذاريات 38).

"فجملته (أرسلنا) ترمز للرسالة التي جاء بها موسى نعلي: آيات التوراة وما فيها من أحكام، وعضدت تلك الآيات بالسلطان المبين الذي هو المعجزات الحسية التي تعد حجة قاهرة لا يمكن للحس أن يكذبها كالعصا واليد. والسلطان اسم لما يفيد القطع واليقين، وهو اسم للفرد المشترك بين الدلائل التي تؤكد بالحس، وبين الدلائل التي لا تتأكد بالحس والدليل القاطع الذي تأكد بالحس هو السلطان المبين، ولما كانت معجزات موسى (عليه السلام) على هذا التدرج فلا جرم أن وصفها بأنها سلطان مبين." (1)

3- الدلالة الإيحائية.

الألفاظ هي مذاق الكلام، لما تحمله من قيم إيقاعية تناسب في الأسماع، فتتصل بالقلوب والنفوس فتلونها بألوانها، فيغدو اللفظ بجرسه موحيا بالمعنى، قال ابن جني: إن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها. ودلالة الجرس على المعنى خفية موحية تحس بمقدار شدة التأثير بالباعث الصوتي وفي ذلك قال أولمان: " وقد تؤدي شدة التأثير بالباعث الصوتي على توليد الكلمات أو الأصوات إلى ما يكاد يكون اعتقادا غامضا في وجود مطابقة خفية بين الصوت والمعنى (2).

فالألفاظ فضلا عن دلالاتها على المعاني الذهنية لها دلالات إيحائية تتمثل في الصور والظلال المصاحبة لها، مما يشكله جرس الألفاظ وما اكتنز فيها من معان كونتها

1 - الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العالمية طهران، ط2، دت، ج18 ص53.

2 - دور الكلمة في اللغة، ص81.

تجارب البشرية والمشاعر والملابس التي صاحبها منذ أول الاستعمال، فتكونت لها دلالات إيحائية يرسمها الجرس تارة وظلال اللفظ تارة، والاثنان معا تارة ثالثة (1).

ومن المعتاد أن تأخذ الألفاظ هذه الدلالة في سياق الكلام وأمكنتها فيه، ومن مجاورتها لكلمة معينة أخرى ذات جرس معين، فتتلون الدلالات وتتنوع لتشير إلى فكرة أو تومئ إلى معنى، أو ترمز إلى صورة نفسية، أو عقلية، أو فنية، فيغدو اللفظ في سلك الأسلوب ذا نمط جديد من الألوان والظلال بخلافه بعيدا عن النظم (2).

ومن الألفاظ الموحية بالحركة الحسية ما ورد في قوله تعالى في قصة موسى التي هي موضوع هذا البحث: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ۗ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (القصص 18).

ذكر احد الدارسين أن لفظة ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ ترسم هيئة الحذر المتلفت الخائف الذي يتربق في المدينة موضع الأمن والاطمئنان مما يؤكد السياق كله (3).

وتقديم كلمة ﴿ خَائِفًا ﴾ على كلمة ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ يوحي بمدى الفزع الذي استولى على موسى عليه السلام (4).

فضلا عن إحياء لفظة ﴿ يَتَرَقَّبُ ﴾ بسمته الشخصية الانفعالية المجسمة بهيئة الخائف القلق، واللفظان معا يوحيان بأن موسى في ذلك الوقت قد غادر القصر الفرعوني، ولم يعد من رجاله، ولو كان قد بقي على هذه الحالة، فما أرخص أن يزهق أحد رجال القصر نفسا في عهود الظلم والطغيان وما كان ليخشى شيئا فضلا عن أن يصبح ﴿ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ لو أنه ما يزال في مكانه من قلب فرعون وقصره. (5)

- 1 - التصوير الفني في القرآن، ص76.
- 2 - فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف الإسكندرية، 1976، ص6.
- 3 - محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، الإسكندرية، ط1، 1981، ص81.
- 4 - الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، ص81.
- 4 - التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع تونس، 1974، ص369.

الفصل الثاني:

الفترة المصرية
(قبل الخروج)

إن الناظر إلى القصص القرآني في القرآن الكريم - بالخصوص قصة النبي موسى (عليه السلام) - يلحظ ظاهرة التكرار الذي هو في الحقيقة ليس تكراراً في المضمون وإنما في الصيغة، فالمضمون واحد ولكنه يصاغ في كل مرة حسب مبدأ " لكل مقام مقال " وهذا يصدق على جميع ما في القرآن من تكرار ظاهري، ولكنه في الحقيقة ذكر لما يستجد من عناصر القصة وفي أي سياق ترد.

سورة الأعراف

قال الجابري: " سورة الأعراف من السور الطوال، بل هي أطول سورة نزلت بمكة، وهي بمفردها تعدل ضعفي ما نزل قبلها منذ ابتداء الوحي، كما تعدل كتاباً من كتب أهل الكتاب أو أكثر ... ورتبتها 39. (1)

فالناظر إلى السياق العام لهذه السورة يجد أنه يشير إلى وجوب التمسك بهذا القرآن، ورفع أي حرج من النفس في الدعوة إليه، وأنه كتاب أتى بالبيان التام وأقام الحجة على العباد، وأن من استتكف عنه فإنه تعرض للعذاب، ثم اختتمت السورة بالرفع من شأن هذا القرآن ووجوب الاستماع إليه والإنصات له، وكان بين أولها و آخرها ذكر قصة آدم وقصص الأنبياء من بعده على ما يناسب هذا السياق، فكان أول قصة موسى مع فرعون وملائه، وأما الشق الثاني من القصة فكان مع بني إسرائيل، وكان يسجل تأريخهم كما قد سجله في الشق الأول قبل الخروج من مصر. (2)

قال البقاعي: " فالمقصود من قصة موسى (عليه السلام) وفرعون -عليه اللعنة والملام- هذا الاستدلال الوجودي على قوله ﴿وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾ (الأعراف 102) ومن هنا تعلم أن سياق قصة بني إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان إصراعهم في الكفر ونقضهم العهود، واستمر سبحانه في هذا الاستدلال إلى آخر السورة ". (3).

هذا ما تبين من سياق السورة، وقد تقدمت دراسة آيات منها مع البقرة في مواضع سابقة، أما ما التقى بما بعدها فالبحت بصدد دراسته في ما يأتي.

1 - مدخل إلى القرآن الكريم، ص 156-157 .

2 - فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان الأردن، ط2، 1422هـ ، ص 326.

3 - برهان الدين أبو الحسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2،

1413هـ ج8، ص70.

- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف 103).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (يونس 75).

الموضع الأول من هذا المقطع: في الأعراف ذكر البعث لموسى (عليه السلام) وحده، وفي يونس لموسى وهارون عليهما السلام.

الموضع الثاني: قدم ذكر المرسل به: ﴿بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ على ذكر المرسل إليهم في الأعراف، وعكس ذلك في يونس ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا﴾.

وقاعدة التقديم والتأخير معلومة عند أهل البلاغة: حيث إن التقديم يكون لما يراد الاهتمام به، وعليه فالاهتمام في الأعراف بالقصد الأول كان بالمرسل به، وفي يونس كان الاهتمام بالمرسل إليه وسبب الاهتمام سياق كل سورة .

الموضع الثالث: اختلف التذييل في الآيتين ففي الأعراف: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾، وفي يونس: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

لقد كان الحديث في الأعراف عن خبر بني إسرائيل، وأحوالهم مع فرعون، ثم بعد نجاتهم منه، فذكر في بداية قصتهم موسى ولم يذكر معه هارون، لأن القصد كان هو الإشارة إلى المعجزات الحسية التي أيد الله بها نبيه موسى (عليه السلام)، ومعلوم أن هذا الأمر اختص به ولم يشاركه فيه هارون، ولم يذكر الله سبحانه هارون إلا حين عبد بنو إسرائيل العجل، ورجع موسى وأخذ برأس أخيه، ولهذا قدم في الأعراف ذكر المرسل به: ﴿بِآيَاتِنَا﴾، لأن الغرض ذكر أحوال بني إسرائيل، وبهذا كان تذييل الآية خبراً عن حال الآيات المرسل بها، وأن آل فرعون ظلموا بها، فكان عاقبتهم الخسران: ﴿فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ .

وأما يونس فلما كان سياقها يبين موقف المشركين من إرسال الرسول (ص) نفسه، لعجبهم من نزول الوحي على رجل منهم، فقد ذكر في السورة من قصة موسى ما يناسب ذلك، لأن الحديث كان عن إرسال الرسولين إلى الظالم العاصي، وبيان موقفه منهما، ولذلك كان التذييل خبراً عن المرسل إليه ببيان حقيقة حاله: ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الأعراف 104).
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَكَانَ فِي رِجْلِ رَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الزخرف 46).

موضع واحد فقط: زيادة لفظ ﴿مِّن﴾ في الأعراف، وفي الزخرف على الإضافة.

لقد كانت هذه الآية بعد الآية الأولى التي افتتحت فيها قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون وكانت الآية الأولى ملخصاً مجملاً للقصة قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف 103).
ثم تبدأ هذه الآية التي معناها تفصيل القصة، ولهذا فإنها عطفت على التي قبلها بالواو ومؤذنة بأنها تفصل ما أجمل فيها.⁽¹⁾

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿يُفْرِعُونَ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ " أي إني رسول من مرسل عظيم، وهو رب العالمين الشامل للعالم العلوي والسفلي مربّي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وهو الذي لا يقدر أحد أن يتجرأ عليه ويدعي أنه أرسله أو لم يرسله... فحقيق علي أن لا أكذب عليه ولا أقول عليه إلا الحق، فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة... " ⁽²⁾
وأما الزخرف فإنها لم تبين على ما بنيت عليه الأعراف من التفصيل، بل كانت تذكر من قصة موسى ما يوافق ما كانت الزخرف تعالجه من أحوال المشركين مع النبي (ص)، وقد كانت الزخرف تدعو إلى التوحيد وقد جاءت قصة موسى (عليه السلام) معقبة لما أمر الله به من النظر في دعوة المرسلين جميعاً، فكان في إضافة ﴿رَسُولٌ﴾ إلى ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بيان من موسى لحقيقة أمره، وهو أنه لم يأت لينازع فرعون ملكه، وليس له غرض إلا أنه رسول أرسله رب العالمين، وفي إضافة ﴿رَبِّ﴾ إلى ﴿الْعَالَمِينَ﴾ بيان لحقيقة الرسالة ونفي لما ادعاه فرعون من الربوبية.

¹ - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط 1997، ج 9، ص 37.

² - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 6، 1417 هـ، ص 261.

- المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف 107)

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ (طه 20).

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الشعراء 32).

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَىٰ لَأَ تَخَفَ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَىٰ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل 10).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ أَلْقَىٰ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدَبِّرًا وَلَمْ يَعْقِبْ يَمْوَسَىٰ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾ (القصص 31).

مواضع الالتقاء: في الأعراف والشعراء: ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وفي طه ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ وفي

النمل والقصص ﴿كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾.

إن أقوال المفسرين على الثعبان: ما جمع بين وصفتين، الذكورة والعظم والكبر.⁽¹⁾

وأما الجان: فهو ما جمع بين وصفين أيضا: الصغر وسرعة الحركة.⁽²⁾

وأما الحية: فهي اسم جنس يقع على الصغير والكبير، والذكر والأنثى.⁽³⁾

وقد كانت حصيلة ما قاله أهل التفسير في الاختلاف بين هذه المواضع تتلخص في:⁽⁴⁾

لقد كان تسمية العصا المنقلبة بالثعبان في الأعراف والشعراء، وهذان الموضعان قد أقيمت العصا فيهما أمام فرعون أول قدوم موسى (عليه السلام) إليه، حين طلب منه فرعون آية على صدقه، لذا فإن الله سبحانه قد أرى فرعون الآية في أعظم أحوالها لعله يتبع الحق ويؤمن به.

وأما طه فإن آية العصا وصفت فيها بأنها حية، والحية لا تخالف الوصفين الآخرين، وفي هذه السورة فإن الوصف يبين الآية على الحال الذي تظهرها الآية، غير ناظر إلى حال موسى (عليه السلام) في فزعه، ولا إلى حال فرعون، كما أن لفظ الحية يعطي معنى الحياة الذي يخالف حال العصا الجامد، و وصفها بالسعي تقرير لذلك، كما أن سورة طه كانت تتلطف

1 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح، عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422 هـ، ج1، ص596.

2 - أبو جعفر النحاس، معاني القرآن، تح، محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409 هـ، ج5 ص60.

3 - جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تص، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ، ج3، ص56.

4 - السمرقندي، تفسير السمرقندي، تح، محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، دت، ج2، ص574.

بالنبي (ص) حين بينت له لطف الله بموسى حين ناداه باسمه، وحين قال له مطمئناً: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ (طه 21).

وأما وصف الجان فكان في سورتي النمل والقصص، وهو وصف لما رآه موسى في الطور، وسورة النمل تبين خبراً من أخبار القرآن وعجائبه لنبيينا محمد (ص)، وقد وردت القصة مختصرة قد استوعبت شأن بني إسرائيل من إرسال موسى (عليه السلام) حتى نهاية فرعون، فكانت بهذا تبين عجيب أمر القرآن، وعظيم أخباره كما هو ظاهر في افتتاحها، وسورة طه تصف مبدأ رسالة موسى (عليه السلام) وجلالته حين كلمة ربه وأمره بإلقاء العصا والذي كان من عجيب أمرها أن انقلبت حية تشبه الجان الصغير في حركته وسرعته.

وأما سورة القصص فإنها كانت تبين حال المستضعفين في الأرض الذين أراد الله أن يمن عليهم وينقذهم مما هم فيه، فابتدأت ذكر أمر الرسالة مفصلة وأمر تلقيه لها كما كانت تفصل أحواله قبل ذلك، ومن هذه الأحوال انقلاب العصا حية تشبه الجان: وما صاحب ذلك من تولي موسى مدبراً ومن نداء الله له لطفاً به.

- المقطع الرابع:

قال تعالى: ﴿وَتَرَعُ يَدُهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ﴾ ﴿١٠٩﴾ قَالَ أَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٥﴾ (الأعراف 109-114).

وقال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٣﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١١٤﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿١١٥﴾ لَعَلْنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٧﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿١١٨﴾ (الشعراء 34-42).

الموضع الأول: في الأعراف القائل هم المملأ: ﴿قَالَ أَلْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ وفي الشعراء القائل هو فرعون: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾.

لقد سعى المفسرون في الجمع بين موضع الأعراف والشعراء، وتتفق أقوالهم على أن فرعون قد قال وقوله ما قصته الشعراء، والمملأ قد قالوا وقولهم ما قصته الأعراف، وهذا هو

ظاهر القرآن، ثم حكوا أقوالاً في حقيقة قول فرعون وقول الملائكة، فمنهم من يجعل القول لفرعون ثم تبعه الملائكة، ومنهم من يجعل قول فرعون للملائكة وقول الملائكة لأعقابهم، ومنهم من يجعل قول الملائكة تبليغاً لقول فرعون. (1)

وعلى جمع الأقوال فقول فرعون كان متقدماً على قول الملائكة، وهو ما يؤكد الخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ﴾ (الزخرف 54).

ومن سياق الأعراف الذي يقص خبر بني إسرائيل مفصلاً فإن ذكر قول الملائكة فيها يبين أن الرأي قد استقر على ذلك، فهو بهذا يبين رأي فرعون ورأي الملائكة. لأن الملائكة تبع له، كما أن فرعون من جملة الملائكة.

وأما سورة الشعراء فقد عنيت بذكر إعراض المعرضين عن رسالات الله، وشدة عنادهم الذي يقابل شدة حرص الرسل على إيمانهم، وكانت السورة تحكى ما دار بين موسى (عليه السلام) وفرعون، وتظهر شدة عناده، فهذا سر اختصاص الشعراء بقول فرعون.

الموضع الثاني من هذا المقطع: في الأعراف: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ وفي الشعراء زيادة: ﴿بِسِحْرِهِ﴾.

قال الإسكافي: "لما أسند الفعل في سورة الشعراء إلى فرعون، وحكى ما قاله وأنه قال للملائكة حوله من قومه: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾، وكان أشدهم تمرداً وأولهم تجرأ، وأبلغهم فيما يرد به الحق، كان في قوله: ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ﴾ ذكر السبب الذي يصل به إلى الإخراج: وهو ﴿بِسِحْرِهِ﴾ فأشبع المقال بعد قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ بأن يذكر أنه ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾". (2)

وأما الأعراف فقد خلت من التوكيد؛ لأنها تقص الخبر كما حصل بتفصيله، ولم يكن لها غرض في بيان حال فرعون بخصوصه، حيث كانت الزيادة مسوقة لبيان حاله في شدة عداوته. (3)

الموضع الثالث من هذا المقطع: في الأعراف: ﴿وَأَرْسَلْنَا فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ وفي الشعراء: ﴿وَأَبَعَثْنَا فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾.

1 - ينظر: الكشاف، ج2، ص134، وروح المعاني، ج9، ص22.
2 - محمد بن عبد الله الأصبهاني (الخطيب الإسكافي)، درة التنزيل وغرة التأويل، نج، محمد مصطفى أبدين، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1422 هـ، ج2، ص651-652.
3 - أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في أي التنزيل، نج، سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1403 هـ، ج1، ص564.

فلما كانت الأعراف معنية بإيراد الخبر وبيانه، فقد كان لفظ الإرسال هو الذي يبين ذلك؛ لأن هذا اللفظ يدل على أن الذي حصل هو أن فرعون قد أحصى السحرة بما أرسله من رسل يتتبعون أمره في هذه المهمة ويمتدون ويتتابعون أرسالا في البلاد حتى لا يبقى من السحرة أحد يتخلف.

وأما الشعراء فكانت معنية ببيان شدة حرص فرعون على المغالبة، ولقد كان الملاء الذين يشيرون عليه على شاكلته فهم حريصون كذلك، ولهذا فقد أشاروا عليه بما يحقق هذا الغرض في نظرهم، هو أن يطلبوا السحرة بواسطة الحاشرين من أتباع الملك، وحتى تتم هذه المهمة، فإنه لا بد من إثارة هؤلاء الحاشرين وتهيجهم، ولفظ البعث هو الذي دل على هذا التهيج كما في أصله اللغوي. (1)

الموضع الرابع: في الأعراف: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾، وفي الشعراء: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾.

قال ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف 112)، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿سَاحِرٍ﴾ ، وفي يونس ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (يونس 79)، وقرأ حمزة والكسائي ﴿سَاحِرٍ﴾ في الموضعين ولا خلاف في الشعراء أنها: ﴿سَاحِرٍ﴾ " (2)

إذن لم يرد في الشعراء إلا صيغة ﴿سَاحِرٍ﴾ وهذه هي الصيغة المناسبة لما بنيت عليه الشعراء من إظهار شدة مغالبة فرعون الذي أشار عليه ملؤه فجاءوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطمئنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه. (3)

أما الأعراف فإنها كانت تقص الخبر وتسجل التاريخ، ولهذا فكانت صيغة ﴿سَاحِرٍ﴾ كافية في بيان هذا، وصيغة ﴿سَاحِرٍ﴾ لا تعارضها في إثبات الخبر، وذلك أن صيغة المبالغة تدل على ما تدل عليه الصيغة الأخرى وزيادة. (4)

1 - ملاك التأويل، ج1، ص568 بتصرف.

2 - زاد المسير، ج3، ص239.

3 - الكشف، ج3، ص302.

4 - محمد بن احمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413 هـ، ج7، ص164.

الموضع الخامس من هذا المقطع: اختصت الشعراء بقوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٨﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٣٩﴾ (الشعراء 38-40).

قال ابن الزبير: " واختصاص الشعراء بالاستيفاء والجواب عن ذلك أن قوله تعالى: ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ إلى ما اتصل بذلك مما يتضمن معناه، فيه إطناب يناسب ما تقدم من ذلك في محاوره موسى (عليه السلام) ومكالمته فرعون من لدن قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى﴾ (الشعراء 10) إلى هذه الآية، ولم يقع في قصصه (عليه السلام) في السور الوارد فيها قصصه من الإطالة في مراجعه فرعون مثل الوارد هنا، فناسبه ما أعقب به مما لم يقع الإخبار في الأعراف، ولما كان الوارد قبل آية الأعراف مبينا على الإيجاز، ويحصل المراد بأوجز كلام، ناسبه إيجاز الآية المذكورة ". (1)

الموضع السادس: ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا﴾ هذا في الأعراف، أما في الشعراء: ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ﴾.

الموضع السابع: في الأعراف ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾، وفي الشعراء ﴿أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا﴾. الموضع الثامن: في الأعراف: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، وفي الشعراء: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

لما كان المقصود في سياق الأعراف اقتصاص الخبر وتسجيل التاريخ، فقد ذكر مجيء السحرة لفرعون، وأنهم بمجرد مجيئهم سألوه الأجر.

قال الزمخشري: " فإن قلت: هلا قيل: وجاء السحرة فرعون فقالوا؟ قلت: هو على تقدير سائل سأل: ما قالوا إذ جاءوه؟ فأجيب بقوله: ﴿قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا﴾ أي جعلنا على الغلبة، وقرئ: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا﴾ على الإخبار ". (2)

وأما خلوا الأعراف من زيادة حرف التأكيد ﴿إِذَا﴾، فلأن هذا الحرف يكشف عن حال فرعون وضراوته في المغالبة، ولم يكن مبنى الأعراف وسياقها على هذا.

1 - ملك التاويل، ج 1، ص 566.

2 - الكشاف، ج 2، ص 134.

الدلالات السياقية للقصص القرآني

وأما الشعراء فإنه لما كان الغرض فيها ذكر حال المناظرة وقوة المغالبة فيها، واحتشاد أهل الباطل لرد الحق، فقد كان الحديث عن ذلك، وقد كان مفتاح ذلك ما افتتح به الموضوع من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا ﴾.

قال السهيلي: " لما" ليست في الحقيقة ظرف زمان، ولكنه حرف يدل على ارتباط الفعل الثاني بالأول وأن أحدهما كالعلة للآخر". (1)
وهي تفيد أيضا التعقيب، وموضع الأعراف يؤكد ذلك، والتعقيب فيه زيادة تأكيد لاهتمامهم بما يدل عليه التعقيب من سرعتهم ومبادرتهم في مفاتحة فرعون.
وأما قولهم الذي قالوه لفرعون وهو محل الغرض، فهو اشتراط الأجر، وقد جاء في الشعراء بصيغة الاستفهام بذكر حرفه، زيادة في تأكيد اهتمامهم بالأمر وكان جواب فرعون مكافئا لاهتمامهم، كما يبينه زيادة لفظ ﴿ إِذَا ﴾ ، وشدة الاهتمام من السحرة ومن فرعون: هي شدة المغالبة والعناد الذي تبينه سورة الشعراء.

- المقطع الخامس:

قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ حُنَّ الْمَلْقِينَ ﴾ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ * وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴿١١٧﴾ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٨﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فغلبوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١٢٠﴾ وَأَلْقَى السَّحْرَةَ سَاجِدِينَ ﴿١٢١﴾ قَالُوا ءَأَمْنَا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٢﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَأَمَّنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنهَا أَهْلَهَا ﴿١٢٤﴾ فَسَوْفَ نَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأَضْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٦﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٧﴾ وَمَا نَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَأَمَّنَّا بِعَايَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٨﴾ (الأعراف 115-126).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَلْقَى ﴾ ﴿١٢٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَاهُمْ وَعَصِيئُهُمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى ﴿١٢٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ﴿١٢٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿١٢٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿١٢٩﴾ فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا قَالُوا ءَأَمَّنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿١٣٠﴾ قَالَ ءَأَمَّنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ

¹- أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، نتائج الفكر، تح، محمد إبراهيم البناء، دار الرياض، دت، ص 127.

ءَاذَنَ لَكُمْ^ط إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ^ط فَلَأُقَطِّعَنَّ^ط أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى^ط ﴿٦٥﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَيَّ مَا جَاءَنَا مِنَ الْيَتِّئَةِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ^ط إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٦٦﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ^ط وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى^ط ﴿٦٧﴾ (طه 65-73).

وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُّلقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَاهُمْ وَعَصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السِّحْرَ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنَّا لَهُ قَبْلُ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ^ط لَأُقَطِّعَنَّ^ط أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ^ط إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾ (الشعراء 43-51).

الموضع الأول في هذا المقطع: في الأعراف وطه استأذن السحرة موسى (عليه السلام) في أيهما الذي يبدأ، ولم يذكر الاستئذان في الشعراء بل اقتصر على ذكر قول موسى للسحرة بالإلقاء.

وسبب ورود ذكر الاستئذان في الأعراف، هو ما اختصت به هذه السورة من اقتصاص الخبر، وهي بذلك تسجل العظة والعبرة من إيراد القصة بالتفصيل. أما طه فكانت تلاحظ لطف الله بموسى ومن هذا اللطف ما جرى بينه وبين السحرة، فبدأت السورة خبره مع السحرة من أوله وهذا ما سيبدو عند تناول هذه السورة بالدراسة. وأما الشعراء فلم يرد فيها الاستئذان، لأنها كانت معنية ببيان عناية موسى (عليه السلام) بأمر الرسالة، فلم يكن ذكر الاستئذان في الأعراف: ﴿وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ نُحْنُ الْمُلْقِينَ﴾، وفي طه تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه، كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين، قبل أن يتخاصموا في الجدل، والمتصارعين قبل أن يتأخذوا للصراع. وقولهم: ﴿وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ نُحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله، من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر، أو تعريف الخبر وإقحام الفصل، وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه، ازدرأ لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي، وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبداً". (1)

1 - الكشاف، ج2، ص135.

الموضع الثالث في هذا المقطع: في الأعراف كان جواب موسى (عليه السلام) لاستئذانهم: ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ وفي طه: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ ، وفي الشعراء ذكر جواب لموسى لاستئذانهم المحذوف بقوله: ﴿قَالَ لَهُم مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾ .

أورد ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿بَلْ أَلْقُوا﴾ ، قال ابن الأنباري: دخلت ﴿بَلْ﴾ لمعنى جحد في الآية الأولى، لأن الآية الأولى إذا تؤملت وجدت مشتملة على إما أن تلقي وإما أن لا تلقي " (1)

الموضع الرابع: كان الخبر عن إلقاء السحرة في الأعراف بقوله: ﴿فَلَمَّا أَلْقُوا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرَهُبُهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ ، وفي طه قال: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَاهُمْ وَعَصِيهِمْ تُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنهَا تَسْعَى﴾ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفَ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ (طه 66-68) ، وفي الشعراء: ﴿فَأَلْقُوا حِبَاهُمْ وَعَصِيهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ .

قال ابن جزري مفسرا قوله تعالى: ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ﴾ ... انظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية ؟ إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه " . (2)

ففي الأعراف كان من تمام قص الخبر، أن أعقبت الآيات حال السحرة ببيان حال سحرهم، وكيف كان وقعه على الناس وهذا مما اختص به سياق الأعراف. وأما طه فكانت معنية بذكر حال موسى (عليه السلام) ، وقد اقتضت كما في الموضع الثاني على ذكر تخيير السحرة، دون أن تذكر من يبدأ تأكيدهم لغلبتهم، واختياره (عليه السلام) بدوهم هو استخفاف بهم. (3)

ولهذا كان التذييل الذي اختصت به طه خبرا عن حال موسى (عليه السلام) وإظهارا لمعية الله ولطفه به، على ما يعطيه حرف الإضراب ﴿بَلْ﴾ من التأكيد.

وأما الشعراء فإنها كانت معنية بأمر الرسالة، وبلاغ موسى (عليه السلام) لها وحرصه عليها، قال ابن عاشور: " وفي كلام موسى (عليه السلام) استخفاف بما سيلقونه؛ لأنه عبر عنه بصيغة العموم، أي ما تستطيعون إلقاءه " . (4)

1 - زاد المسير، ج5، ص301.

2 - أحمد بن أحمد بن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل ، دار أم القرى، مكة المكرمة، د ط ت ، ج2، ص75.

3 - الكشف، ج2، ص135 بتصرف.

4 - التحرير والتنوير، ج 19، ص127.

الموضع الخامس: في الأعراف كان الأمر لموسى (عليه السلام) بصيغة الوحي: ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾، وفي طه بصيغة الأمر المباشر: ﴿وَأَلْقَ﴾، وفي الشعراء لم يتقدم أمر، بل كان موسى هو الملقى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى﴾.

لقد كانت الأعراف تقص خبر بني إسرائيل وتأريخهم، وهي هنا تقص خبرهم مع فرعون، وكانت صيغة الوحي في الأعراف هي المنبئة عن بيان الخبر وتفصيله؛ فهي تبين أن الله أوحى إلى نبيه (عليه السلام) لما ألقى السحرة سحرهم. وأما طه فكان المناسب لسياقها هو صيغة الأمر المباشر، فإن هذا الأمر المباشر من الله يدل على تمام العناية بموسى (عليه السلام) والنصرة والتأييد له، وذلك أنه يدل على السرعة في الإلقاء، فيدل على السرعة في الغلبة، ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ﴾ وقعت مجزومة جوابا للأمر، فيكون المعنى: إن تلقه تتلقف. (1)

وأما الشعراء فكان الغرض فيها بيان الرسالة ذات الشأن التي أرسل بها موسى وما أداه من الله في ذلك، فكانت تلحظ عناية موسى (عليه السلام) وحرصه على ما كلف به من أمر الرسالة وأن فرعون لم تفده تلك الرسالة شيئا.

الموضع السادس: في الأعراف كان الإلقاء للعصا بلفظها: ﴿عَصَاكَ﴾، وفي الشعراء كذلك: ﴿عَصَاهُ﴾، وأما في طه فأبهما فقال: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾.

لما كانت الأعراف تقص خبر بني إسرائيل، فقد كان الأصل فيها هو الإفصاح والبيان لا الإبهام، فالغرض هو بيان الأمر الذي جرى لا إبهامه، والذي جرى هو أن موسى أمر بالإلقاء العصا فالتقمت سحر السحرة كما هو في القصة. أما طه فقد رأى بعض المفسرين الإبهام فيها: بأنه مراد به التأنيس لموسى كما هو سياقها.

قال الزمخشري: "وقوله: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾، ولم يقل عصاك، جائز أن يكون تصغيرا لها: أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيتهم وألق العويد الصغير الجرم الذي في يمينك، فإنه بقدره الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمتها. وجائز أن يكون تعظيما لها، أي: لا تحتفل بهذه على كثرتها أقل شيء و أنزره عنده، فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها". (2)

1 - الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص 149.

2 - الكشاف، ج3، ص72.

وقال ابن عاشور " وعبر له عن العصا ب ﴿مَا﴾ الموصولة تذكيرا له بيوم التكليم إذ قال له: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى﴾ (طه17) ليحصل له الاطمئنان بأنها صائرة إلى الحالة التي صارت إليها يومئذ، ولذلك لم يقل له: وألق عصاك " (1) ولأبي حيان نكتة أخرى، وهي أن ما في اليمين يشعر باليمن و البركة " (2) وهي أيضا لا تخالف ما قبلها.

وأما الشعراء؛ فإنه لما كان الغرض فيها بيان شأن الرسالة التي أرسل بها موسى (عليه السلام) وحرصه وعنايته بها، فقد كان الشأن فيها الإفصاح بما فعل موسى (عليه السلام) في مغالبتة لهم، والذي فعله أنه ألقى عصاه فالتقمت ما يأفك القوم.

الموضع السابع: في الأعراف والشعراء: ﴿تَلَقَّفْ مَا يَأْفِكُونَ﴾، وطه: ﴿تَلَقَّفْ مَا صَنَعُوا﴾.

قال صاحب أضواء البيان: " ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾، أي: يختلقونه و يقترفونه من الكذب، وهو زعمهم: أن الحبال والعصي تسعى حقيقة، وأصله من قولهم أفكه عن شيء يأفكه عنه، من باب ضرب: إذا صرفه عنه وقلبه". (3)

وأما الذي في طه فقليل كان خطابا لموسى (عليه السلام).

قال أبو السعود: " والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير، والإيذان بالتمويه والتزوير ". (4)

الموضع الثامن: ذكر الله سبحانه في الأعراف قبل إلقاء السحرة سجدا قوله: ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ فَغَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَغِيرِينَ ﴿١١٧﴾﴾ وفي طه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَجِرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾.

الموضع التاسع: في الأعراف: ﴿وَأَلْقَى﴾ وفي طه والشعراء بالفاء: ﴿فَأَلْقَى﴾.

ومن المواضع الثلاثة الأخيرة نستنتج أنه لما كانت الأعراف معنية بذكر ما يبين الخبر، فكان أول الخبر أن العصا لقت كل باطل السحرة، وعبر عنه بالإفك وكان عاقبتهم أن انقلبوا صاغرين.

1 - التحرير والتنوير، ج16، ص260.

2 - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ، ج6، ص241 بتصرف.

3 - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1413هـ، ج4، ص477.

4 - أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث، بيروت، ط4، 1414هـ، ج6، ص28.

قال ابن جرير: " فغلب موسى فرعون وجموعه ﴿هُنَالِكَ﴾: عند ذلك، ﴿وَأَنْقَلَبُوا صَغِيرِينَ﴾، يقول: وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين ". (1)

قال ابن عاشور: " عطف على: ﴿فَغُلِبُوا﴾ - ﴿وَأَنْقَلَبُوا﴾ فهو في حيز فاء التعقيب، أي: حصل ذلك كله عقب تلقف العصا ما يأفكون، أي بدون مهلة ". (2)

وفي طه طمأن الله سبحانه موسى (عليه السلام) وهذا ما يوافق سياقها فيظهر له من لطفه ما يظهر في تذييل الآية بنفي مطلق ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ .

وأما العطف بالفاء في الموضع التاسع ﴿فَأَلْقَى﴾ فإنه يبين سرعة إلقاء السحرة، بما تفيد الفاء من التعقيب كما أنها تفيد التسبيب، وعليه فيتبين أن إلقاء السحرة كان بسبب إلقاء موسى (عليه السلام) وفي هذا من اللطف بموسى ما هو ظاهر، كما تبين بما أفادته الفاء أن السحرة قد بادروا بالخضوع والسجود.

أما سورة الشعراء فذكرت هزيمة السحرة بالوصف الذي يبين حقيقتها، وهو الإفك، وأن تقتصر على ذلك فلا يكون فيها مثل ما في الأعراف من الزيادة وكان التعقيب بالفاء فيها هو المناسب لأنه يبين السرعة في نصر الحق والسرعة في هزيمة الباطل كما أنه يبين من وجه آخر سرعة السحرة في الاهتداء حين أراد الله لهم ذلك.

الموضع العاشر: في الأعراف والشعراء: ﴿سَاجِدِينَ﴾، وفي طه ﴿سُجَّدًا﴾ والكلمة

في الصيغتين حال والحال نوع من الإخبار: " وذلك لأن الحال خبر في الحقيقة، من حيث إنك تثبت بها المعنى لدى الحال، كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ، وبالفعل للفاعل ". (3)

إن صيغة جمع المذكر السالم بما تفيد من قصد آحاد الجموع تفيد أن السحرة جميعهم قد سجدوا لم يتخلف منهم أحد، وهذا هو المناسب لاستقصاء الخبر كما هو سياق الأعراف.

أما الشعراء فإنها كانت بصدد تأنيس النبي (ص)، فقد أبانت ظهور الآيات البيّنات على يد موسى (عليه السلام)، كما تبين السورة استجابة فرعون للسحرة وحفاوته بهم، واعتماده عليهم، وبهذا يتبين أن أمر موسى رباني، إذ يستحيل أن يتفق الجميع على الخضوع والإيمان وكل هذا من سر سياق هذه السورة وسر ورود هذه الصيغة أي صيغة جمع المذكر السالم.

أما طه فوردت فيها صيغة جمع التكرير، وهذه الصيغة لا يقصد بها تعيين آحاد الجموع؛ لأنه لم يكن يقصد الكشف عن حال السحرة، بل كان القصد فيها بيان نصر الله لموسى

1 - جامع البيان، ج10، ص361

2 - التحرير والتنوير، ج9، ص52.

3 - دلائل الإعجاز، ص173.

(عليه السلام) ومعيته سبحانه له، تأنيسا للنبي (ص) وأصحابه في حال ضعفهم وخوفهم وهذا الموافق لسياق السورة.

الموضع الحادي عشر: في الأعراف والشعراء زيادة: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾¹ وليست هذه الزيادة في طه .

لقد كان الموضع السابق يلحظ في الأعراف والشعراء حال السحرة، وأما طه فكان النظر فيها لحال موسى (عليه السلام) وهذا هو السبب في الزيادة. فقد زيدت في الأعراف لتتم الخبر عن السحرة، وتبين أنهم أعلنوا إيمانهم برب العالمين مع سجودهم، وأن سجودهم كان إيمانا بالله. وأما الشعراء فكانت الزيادة تبين أن السحرة أعلنوا إيمانهم برب العالمين، فظهرت هاديتهم، وقامت الحجة على المكابرين. وأما طه فإنها قد خلت من هذه الزيادة لأن الخبر في السورة كان عن موسى ولم يكن عن السحرة .

الموضع الثاني عشر: في الأعراف والشعراء: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾.

وفي طه: ﴿قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

قال الدكتور محمد أبو موسى: " أما تقديم هارون على موسى في آية طه ففيه إشارة معنوية لا تكون لو أخرج، وذلك أن موسى وهارون وإن حملا معا أمر الله: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (طه 43) ، إلا أن موسى (عليه السلام) هو الأصل فهو الذي خوطب: ﴿أَذْهَبَا أَنْتَ وَأَخُوكَ﴾ (طه 42) وهو الذي أوتي الكتاب وأيد بالحجة وهذا يجعل لقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ﴾ معنى ليس في قولهم: " آمنة برب موسى وهارون " ؛ لأن بدءهم بمن ليس أفضل دال على قوة الاقتناع بالحجة والإيمان بها ... ويلاحظ أن سياق سورة طه فيه فضل عناية ببيان حفاوة السحرة بهذه المغالبة ... " (1)

ففي سورة طه تبين لطف الله بهارون وموسى (عليهما السلام) بعد الاحتشاد وشدة المغالبة، حين أعلن أهل المغالبة المباشرين لها قوة إذعانهم وخضوعهم، وعليه فإن الخبر في طه كان غرضه بالقصد الأول، بيان حال موسى وهارون لا حال السحرة.

الموضع الثالث عشر: في الأعراف: قال: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنْتُمْ بِهِ﴾، وفي طه والشعراء الفاعل مضمرة: ﴿قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ﴾.

¹ - محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي - دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1418هـ، ص199.

لقد كان سياق الأعراف سياق تفصيل فبين المحاورة بين فرعون والسحرة، كما أظهرت السورة حرص الملأ من قوم فرعون، ومشورتهم له، ولما تمت المغالبة وآمن السحرة كان المههد لهم فرعون نفسه، فأظهر في هذه السورة ليبين ما هو من شأن فرعون مما هو من شأن الملأ.

وأما طه والشعراء فكان الإضمار فيهما هو الأصل، وليس للإظهار غرض، فإن قول فرعون كان في سياق المحاورة مع السحرة، والكلام كله عنه، ولم يكن عن الملأ إخبار حتى يميز ما بينهما، كما أنه لم يقصد في السورتين استقصاء الخبر. (1)

الموضع الرابع عشر: في الأعراف: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾، وفي طه والشعراء: ﴿ءَامَنَّا لَهُ﴾. قال ابن تيمية: "يقال للمخبر آمنة له، وللمخبر به آمنة به". (2)
قال أبو السعود العمادي: "قال: أي فرعون للسحرة: ﴿ءَامَنَّا لَهُ﴾ أي: لموسى (عليه السلام)، واللام لتضمنين الفعل معنى الاتباع". (3)

فسورة الأعراف ذكرت أن فرعون كان يؤنب السحرة على إيمانهم بالرسالة، وفي طه والشعراء كان يؤنبهم على الإيمان لموسى (عليه السلام) خاصة .
فالأعراف كانت تقص القصة وتنقصي الخبر، فإنها بينت موقف فرعون من الرسالة التي جاء بها موسى (عليه السلام). فسأقت موقفه منها في تهديده للسحرة .
وأما طه فإنها كانت تتحدث عن موسى (عليه السلام) وتبين لطف الله به، فكانت السورة تبين ضراوة فرعون في عداوته وبطشه، فتبين بذلك لطف الله بنبيه ونصره له.
وأما سورة الشعراء فإنها تكشف حال فرعون، وأنه كان معاديا لموسى وحاله هذه كحال الكفار المعادين للرسول (ص)، وهذا من سياق الشعراء.

الموضع الخامس عشر: في الأعراف: ﴿إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرَتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ وفي طه والشعراء: ﴿إِنَّهُ لَكَيْبٌ كُفُّوا أَلْسِنَهُمْ عَنِ السَّحْرِ﴾.

في الأعراف كان تبين موقف فرعون من الرسالة، وأنه رفضها برفضه ظهور الحجة وأن اللعين قد علل الذي حصل بالمكر والمكيدة، لا ظهور حجة وبرهان، فكان التعليل المطابق له أن يكون بياننا لموقفه من هذا الحق.

1 - درة التنزيل، الخطيب الإسكافي، ج2، ص662 بتصرف.

2 - فتاوى ابن تيمية، ج7، ص529.

3 - إرشاد العقل السليم، ج2، ص29.

أما طه فالحديث فيها كان عن موسى، وموقف فرعون منه، فمن المناسب أن يذكر فيها فرعون والذريعة التي اتخذها لإبطال اتباع موسى (عليه السلام) بأنه الساحر الأكبر الذي علم السحرة السحر . والشأن نفسه مع سورة الشعراء في هذا الموضوع .

الموضع السادس عشر: في الأعراف: ﴿فَسَوْفَ تَعْمُونَ﴾، وفي الشعراء: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ﴾، وفي طه ذكر العقوبة مباشرة .

قال أبو السعود: "﴿فَسَوْفَ تَعْمُونَ﴾، أي عاقبة ما فعلتم، وهذا وعيد ساقه بطريق الإجمال للتهويل، ثم عقبه بالتفصيل فقال: ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ أي: من كل شق طرفا ، ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحا لكم وتكجيلا لأمثالكم " (1) .

وأما عن زيادة اللام في الشعراء فقال ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْمُونَ﴾ قال الزجاج: اللام دخلت للتوكيد " . (2)

إن التهديد المجمل في الأعراف هو من الزيادة في تفصيل الخبر وهو ما يبين أن فرعون هدد أولا بإجمال، ثم هدد ثانيا بتفصيل العقوبة، وموضع العبرة في الأعراف هو من سوقها القصة بتفاصيلها.

أما الشعراء فقد وردت بها زيادة الجملة المجملة للعذاب، لأنها تبين حال فرعون في مغالبتها للحق، كما أتت زيادة اللام لتبين ضراوة فرعون وشدته وتبين صبر السحرة وهدايتهم . وأما طه فإنها خلت من جملة الإجمال هذه، وفصلت حال التهديد مباشرة لتبين صبر السحرة على ما يريده فرعون من فتنتهم عن دينهم، وبيان صبر السحرة على دينهم هو المناسب لسباق سورة طه من معالجة أحوال المؤمنين المستضعفين .

الموضع السابع عشر: من هذا المقطع: في الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأَصْلِبَنَّكُمْ﴾، وفي طه والشعراء: ﴿وَلَأَصْلِبَنَّكُمْ﴾ .

قال ابن عاشور: " دلت ﴿ثُمَّ﴾ على الارتقاء في الوعيد بالصلب، والمعروف أن الصلب أن يقتل المرء مشدودا على خشبة " . (3)

ثم وضع ابن عاشور احتمالا آخر لمعنى الآية وهو أن تكون ﴿ثُمَّ﴾ تدل على الترتيب والمهلة الزمنية فقال: ولعل المهلة قصد منها مدة كي واندمال موضع القطع " . (4)

1 - إرشاد العقل السليم، ج3، ص261.

2 - زاد المسير، ج6، ص124.

3 - التحرير والتنوير، ج9، ص55.

4 - التحرير والتنوير، ج9، ص55.

ومنه فإن تميز الأعراف بالعطف بالحرف ﴿ثُمَّ﴾ إنما هو لما بنيت عليه السورة من تسجيل التاريخ، وأنها بذلك تبين حال تهديد فرعون بتفصيله، ثم إن السورة بذكر المهلة الزمنية تسجل خبرا وتبين حالا من أحوال فرعون كما هو سياقها العام.

الموضع الثامن عشر: في الأعراف والشعراء زيادة: ﴿أَجْمَعِينَ﴾ فالأعراف لما وصفت حال السحرة بأعيانهم جميعهم، بينت حال فرعون منهم جميعا، وحاله أنه رأى سجودهم جميعهم، فإنه سيعذبهم كلهم جميعا، وهذا في الأعراف من تنمة الخبر وتفصيله، وفي الشعراء من بيان عتو فرعون وصلفه، وأما طه فلم تقصد الأعيان فلم يرد فيها هذا التأكيد.

الموضع التاسع عشر: في طه زيادة ذكر محل الصلب وهو جذوع النخل، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيْنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾.

وهذه الزيادة مناسبة لطفه لأنها تبين بالغ صبر السحرة على ما يفتنون به.

الموضع العشرون: اختلاف جواب السحرة لتهديد فرعون، ففي الأعراف: ﴿قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٠﴾ وَمَا نَنقِمُ مِنْآ إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِعَآيَتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ، وفي طه: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنْ آٰلِيَّتِنِ الَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيٰوةَ الدُّنْيَا ﴿١٢١﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنْ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ، وفي الشعراء: ﴿قَالُوا لَا صَبْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٢﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبِّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومن هذا الموضع تبين أن الأعراف قد استقصت الخبر كما هو شأنها دائما ولم تكن ناظرة إلى حال السحرة بخصوصه ولا إلى حال فرعون بخصوصه، بل بتسجيل القصة بما فيها من العبرة والعظة، لذا لم يرد فيها ما ورد في الشعراء من زيادة ﴿لَا صَبْرَ﴾ لأن تلك الزيادة كانت تعني بشأن خاص من أحوال السحرة يناسب سياق سورة الشعراء.

أما سورة طه فإن مناسبة ما ذكر فيها من قول السحرة لسياقها، لأنها كانت تخاطب النبي (ص) والصحابة وهم في حال ضعف، وكان السحرة كذلك في حال استضعاف من فرعون بعد إعلانهم إيمانهم، وما في الحاليين من شبه وهذا ما يناسب سياق السورة.

وأما الشعراء فقد أظهرت حفاوة السحرة بالهداية بما تميزت به من الزيادة عن الأعراف في قوله تعالى: ﴿لَا صَبْرَ﴾، والمعنى: " لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به " (1) وقد كان سياق الشعراء يؤنس النبي (ص) حتى لا يذهب به الحزن على إيمان قومه.

¹ - تفسير ابن كثير، ج 6، ص 141.

- المقطع السادس:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ بَلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ (الأعراف 134-135)

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ (الزخرف 49-50).

الموضع الأول: في الأعراف: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى﴾ ، وفي الزخرف: ﴿يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ﴾.

قال ابن كثير: " وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى (عليه السلام) ، ويتلطفون له في العبارة بقولهم: ﴿يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ﴾ أي: العالم قاله ابن جرير، و كان علماء زمانهم هم السحرة، ولم يكن السحر في زمانهم مذموما عندهم، فليس هذا منهم على سبيل الانتقال منه؛ لأن الحال ضرورة منهم إليه لا تناسب ذلك ، وإنما هو تعظيم في زعمهم ".⁽¹⁾ وإن مما يؤيد ذلك أنهم وعدوا موسى (عليه السلام) بالاهتداء والإيمان جزاء كشف العذاب عنهم فلا يكون نداؤه بالساحر تهكما وقد أخبر الله عنهم أنهم كانوا ينكثون هذا العهد مرارا عند كل آية يكشفها الله عنهم.

أما في الأعراف فكان خطاب الله لموسى (عليه السلام) باسمه، لأن سياق السورة يبين الخبر، والنداء بالاسم هو الأصل في بيان الخبر، وأما النداء بالوصف فإنه يكون لغرض يعطيه معنى الوصف، مع ما يدل عليه السياق.

الموضع الثاني: في الأعراف: ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ، وفي الزخرف: ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾.

لقد كانت الآيات في الأعراف في سياق يصف آل فرعون، وموقفهم من موسى (عليه السلام) بعد الغلبة، وانه قد أصابهم من الآيات ما زلزلهم على ما يبينه لفظ الرجز ولما تتابعت عليهم الآيات فزعوا إلى موسى (عليه السلام) يطلبون منه الدعاء، ولما كان السياق يظهر مجابتهم لموسى وكان موسى يريد منهم أمرين: أن يطيعوه وأن يرسلوا معه بني إسرائيل، وكان المناسب أن يتقربوا إليه لما فزعوا إليه بالأمر الذي يريد فأعلنوا إيمانهم ووعده بالاتباع لكنهم ينكثون في كل مرة.

¹ - تفسير ابن كثير، ج7، ص230.

أما الزخرف فكانت تشبه حال المشركين على عهد النبي (ص) بحال آل فرعون فتعظهم بقصتهم، فكان أن ذكرت الآيات وعهدهم بالاهتداء والدخول في الدين الحق، وكان وعدهم مؤكداً بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستمرار، فتبين مبالغتهم في الوعد، حتى تبين عظيم ذنبهم بالنكث. (1)

وأما تخصيص الزخرف بلفظ الاهتداء فقد قال الراغب: " الهداية دلالة بلطف " (2) وهم كانوا يعدون من أنفسهم الهداية والانقياد والإتباع بلطف.

الموضع الثالث: في الأعراف: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ﴾ وفي الزخرف: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾.

قال ابن فارس: " الرء والجيم والزاء أصل يدل على اضطراب. من ذلك الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها، فإن ثارت الناقة ارتعشت فحذاها، ومن هذا اشتقاق الرجز من الشعر، لأنه مقطوع مضطرب".

لقد كان الرجز في الأعراف عذاباً، لكنه ذكر بالوصف الذي يبين حاله لأن السورة تقتص الخبر وتبين تفاصيله، لذلك قد عدت السورة أنواع ذلك العذاب؛ من السنين والطوفان والجراد والقمل وغيرها، فهي بهذا تصف حال العذاب، وتصف أيضاً من وقع عليه العذاب وأن نكوثهم كان عصياناً شديداً وتمرداً.

أما الزخرف فإنها كانت تعظ المشركين، فكان المناسب أن تذكر العذاب باسمه.

الموضع الرابع: الزيادة في الأعراف موافقة لسياق السورة، لما تبينه من التفاصيل، قال ابن جرير: " ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَلِغُهُ﴾ ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلاً إلى وقت هلاكهم ". (3)

وأما الزخرف فلم يكن لهذه الزيادة غرض، لأنها لم تكن تعن بالتفاصيل إنما غرضها وعظ المشركين، وهذا يتم من غير الزيادة.

- المقطع السابع:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي ۗ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۗ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۗ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف 150).

1 - الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص66 بتصريف يسير.

2 - معجم مقاييس اللغة، ص 442.

3 - جامع البيان، ج 10، ص402.

وقال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾ (طه 86).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۗ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (طه 94).

الموضع الأول: في أولى آيتي طه نداء موسى (عليه السلام) لقومه بقوله: ﴿قَالَ يَقَوْمِ﴾، وليس ذلك في الأعراف.

قال ابن عاشور: " وافتتاح الخطاب بـ ﴿يَقَوْمِ﴾ تمهيد للوم؛ لأن انجرار الأذى للرجل من قومه أحق في توجيه الملام عليهم، وذلك قوله: ﴿فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾" (1)، وهذا ملائم لسياق سورة طه لما اختصت به من خطاب موسى (عليه السلام) لعبدة العجل، فإنه ذكرهم بما يقرر هذا النداء، ويعظم عليهم الشناعة فيما ارتكبوا وذلك انه خاطبهم فقال: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾، وهذا الأسلوب من أساليب القرآن ينقلب فيه المضارع ماضيا؛ لأن "لم" حرف قلب، وينقلب فيه النفي إثباتا، لأن الهمزة الداخلة على "لم" مضمنة معنى الإنكار، فيتسلط النفي الكامن فيها على النفي الذي في "لم" فينفيه ونفي النفي إثبات، وأما الاستفهام فهو استفهام تقرير. (2)

الموضع الثاني: في الأعراف كان عتاب موسى لقومه بقوله: ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۗ أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾، وأما في طه فقال: ﴿أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ نَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي﴾.

والمعنى في هذا الموضع متضمن في الموضع الذي قبله.

الموضع الثالث: في الأعراف: ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ وليست هذه الزيادة في طه.

الموضع الرابع: في الأعراف: ﴿قَالَ ابْنُ أُمَّ إِنْ أَلْقَوْمَ اسْتَضَعْفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وفي طه: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ۗ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾.

1- التحرير والتنوير، ج16، 282.

2- أضواء البيان، ج4، ص537.

قال ابن جرير: " واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عدل موسى عليه أخاه من تركه أتباعه، فقال بعضهم: عدله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد عليه... وقال آخرون: بل عدله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم ".⁽¹⁾

ومن سياق الأعراف التي تقص الخبر وتتبعه من أوله، إذ ذكرت أو لا عتاب موسى لأخيه والمؤمنين معه على تركهم خلافته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا عتابه لقومه العصاة على عبادتهم العجل، بهذا فإنها تستوفي الخبر، ولهذا فقد ذكر فيها إلقاء موسى الألواح كما في الموضوع الثالث - ﴿وَأَلْقَى الْأَلْوَا حَ﴾ قبل أخذه برأس أخيه، ولم يذكر ذلك في طه، وكان جواب هارون خاليا من النداء؛ لأنه لم يرد فيها ما أراده في طه من المبالغة في الاستعطاف.

وأما المذكور في طه فقد كان آخر الأمر، بعد أن زاد موسى (عليه السلام) في الفعل والقول، أما الفعل فإنه زاد حتى أخذ باللحية مع الرأس، وأما القول فإنه زاد لوما لهارون على تركه أتباعه بمن أطاعه، فكان جواب هارون مناسبا لذلك من زيادة الاستعطاف بحرف النداء كما في الموضوع الرابع، فكانت إجابته بأنه خشي مفسدة رآها أعظم من مصلحة اللحاق بأخيه، وهي مفسدة تفريق بني إسرائيل، وبهذا تمت مقاطع سورة الأعراف من هذه القصة.

سورة إبراهيم

وهي سورة مكية في قول الجمهور، ولم يقع الخلاف إلا في آيتين أو ثلاث منها.⁽²⁾

وكان سياق قصة موسى (عليه السلام) في هذه السورة، ظاهر في أمر الله سبحانه له بدعوة قومه، وتذكيرهم بنعم الله، فكان موسى (عليه السلام) هو المذكر بأمر الله له.

قال الله تعالى في أول آية من القصة: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيِّمِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (إبراهيم 5).

وقد سبق ما التقى من هذه السورة الكريمة مع البقرة في الآية⁽⁴⁹⁾ ومع الأعراف في الآية⁽¹⁴¹⁾.

أما آية سورة إبراهيم ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِقُونَ آبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم 6).

¹ - جامع البيان، ج 16، ص 145 - 146.
² - الجامع لأحكام القرآن، ج 9، ص 222.

سورة طه

قال ابن عادل الدمشقي: " وقيل: إن هذه السورة (يعني طه) من أوائل ما نزل بمكة، وكان الرسول (ص) في ذلك الوقت مقهوراً تحت ذل الأعداء، فكأن الله تعالى قال: لا تظن أنك تبقى أبداً على هذه الحالة، بل يعلو أمرك ويظهر قدرك، فإنما ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقياً فيما بينهم، بل لتصير معظماً مكرماً ". (1)

ولعل المتأمل لهذه السورة الكريمة يلحظ منذ بدايتها أن سياقها هو اللطف بالنبى (ص) وصحبه، والشد من أزرهم، وتقوية قلوبهم في مواجهة أعدائهم في تلك المرحلة الصعبة، والتأكيد على أن العقاب لهم، وأن في هذا الدين وهذا القرآن الرفعة والعلو في الدارين، ونلاحظ هذا من أولها: ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿٣﴾ تَنْزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾ ﴾ (طه 1-4).

ولقد أتت قصة موسى (عليه السلام) في هذه السورة بما يناسب هذا السياق، فقد قصت علينا لطف الله بعبده موسى في مبدأ الوحي، وتكريمه له بالتكليم في الواد المقدس، ونبينا (ص) قد أكرم بنزول الوحي عليه، وفي هذا من اللطف والعناية ما هو ظاهر.

- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَمْوَسَى ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ (طه 10-12).

وقال تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَعَاتِيكُم مِّنْهَا بَخْرٌ أَوْ آتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ (النمل 7-9).

وقال تعالى: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بَخْرٌ أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (القصص 29-30).

1 - عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح، عادل أحمد عبد الموجود، دارالكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419 هـ، ج 13، ص 168.

الموضع الأول: في طه: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾ ، وفي القصص: ﴿ءَأَنْتَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾، وخلت النمل من ذلك.

قال ابن عطية: " ﴿ءَأَنْتَ﴾ معناه أحسست... والنار على البعد لا تحس إلا بالإبصار؛ فلذلك فسر بعضهم اللفظ برأيت، وأنس أعم من رأى، لأنك تقول أنت من فلان خيرا أو شرا".⁽¹⁾

لقد كانت آية طه افتتاح قصة موسى في السورة، وكان قبلها قوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ﴾ (طه9) فلم يكن قبل هذه الآية ذكر لأحوال موسى وأصحابه والتلطف بهم في أوقات اشتداد الأمر عليهم.

قال الزمخشري: " قفاه بقصة موسى (عليه السلام) ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد".⁽²⁾

فكان قوله: ﴿إِذْ رَأَىٰ نَارًا﴾ في طه بداية لقص القصة، لم يكن منظورا فيها لحال موسى (عليه السلام) قبل ذلك، فليست السورة تسجل هذا إلا أن موسى أبصر ورأى نارا فكان المقصود بدء الأمر لا حال موسى (عليه السلام).

وأما قوله: ﴿ءَأَنْتَ﴾ فإنه إبصار خاص مقيد يبين حال موسى وذلك أن سورة القصص كانت تقص قصة موسى من ولادته، وتبين حسن تدبير الله وتلطفه به، فتبين من دقائق أموره ما فيه العبرة والعظة، وقد كان حاله لما رأى النار حال المستأنس بها ولو كان خائفا وجلا منها لما أتاه، قال ابن كثير: " قال لأهله يبشرهم: ﴿إِنِّي ءَأَنْتُ نَارًا﴾ ".⁽³⁾

ولهذا فقد انفقت السور الثلاث على هذه الجملة من قول موسى وأما النمل فلم تذكر الزيادة من رؤيته النار بل بدأ الخبر بقول موسى (عليه السلام): ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي ءَأَنْتُ نَارًا﴾، لأن النمل كانت تقص القصة مبينة الخبر في بلاغته وحسن بيانه، غير ناظرة إلى تفاصيل حال موسى مع أهله إنما قاصدة حالة في تلقي الوحي.

الموضع الثاني: في طه والقصص: ﴿أَمْكُثُوا﴾ زيادة عما في النمل.

¹ - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح ، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ ، ج4، ص38.

² - الكشاف، ج3، ص51.

³ - تفسير ابن كثير، ج5، ص276.

إن زيادة قوله: ﴿أَمْكُثُوا﴾ في طه والقصص زيادة وصف لحال موسى (عليه السلام) فهي تبين أنه حين آنس النار طلب من أهله أن ينتظروه حتى يرجع إليهم فقال لهم: ﴿أَمْكُثُوا﴾ ، ولم يقل أقيموا لأن الإقامة تقتضي الدوام والمكث ليس كذلك " . (1)

وبهذا فهو يطمئنكم وكأنه يقول لن ألبث عنكم إلا يسيرا، هذا في طه والقصص أما النمل فكان الغرض يتم من غير هذه الزيادة.

الموضع الثالث: في طه والقصص: ﴿لَعَلِّيْ ءَاتِيْكُمْ﴾ ، وفي النمل: ﴿سَعَاتِيْكُمْ﴾ .

قال الزمخشري: " فإن قلت: سأتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين ؛ لأن أحدها ترج والآخر تيقن ، قلت: قد يقول الراجي إذا قوي رجاءه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة " . (2)

فسبب اختصاص طه والقصص بالرجاء ﴿لَعَلِّي﴾ ، هو الوصف الدقيق لما كان يختلج في قلب موسى (عليه السلام) ، وتفصيل حاله، وذلك أن الرجاء يبين عزم موسى الذي عزمه، ويبين حال ترقبه ورجائه وحرصه على أهله في حصول المطلوب لهم وفي ذلك من تعلقه بربه، ولطف الله به ما هو ظاهر من سياق السورتين.

وأما سورة النمل فإن الغرض فيها الخبر المجمل، فاقترن فيه على ما يبينه وهو عزم موسى على إحضار الخبر وإحضار الشهاب القبس.

الموضع الرابع: قدم في طه ذكر طلب موسى للقبس على الخبر، وفي القصص والنمل العكس.

الموضع الخامس: في النمل زيادة: ﴿أَوْءَاتِيْكُمْ﴾ .

الموضع السادس: في طه: ﴿بِقَبْسٍ﴾ ، وفي النمل ﴿بِشَهَابٍ قَبْسٍ﴾ ، وفي القصص:

﴿أَوْ جَذْوَةً مِّنَ النَّارِ﴾ .

قال ابن الجوزي: " فأما القبس، فقال الزجاج: هو ما أخذته من النار في رأس عود أو في رأس فتيلة " . (3)

وقال ابن منظور: " وروى الأزهري عن ابن السكيت، قال: الشهاب: العود الذي فيه نار، قال وقال أبو الهيثم: الشهاب أصل خشبة أو عود فيها نار ساطعة، ويقال للكوكب الذي ينقض على أثر الشيطان بالليل " . (4)

1 - الجامع لأحكام القرآن، ج 11 ، ص115.

2 - الكشاف، ج3، ص338.

3 - زاد المسير، ج5 ، ص272.

4 - لسان العرب، ج1، ص510.

أما الجذوة فقال ابن جرير: "﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، يقول أو أتاكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار". (1)

ومن هنا يظهر أنه في طه أتى بالاسم العام لكل مقبوس من النار، فليس فيه بيان لنوعه، أما الشهاب الذي في سورة النمل ففيه تحديد هذا القبس فهو مضيء ذو شعلة. أما الجذوة فهي أكثر من القبس، فهي نار يستدفأ بها، وهذا من أصلها اللغوي الذي فيه معنى الغلظ.

الموضع السابع: في النمل والقصص زيادة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ وليست في طه.

من المواضع الأربع السابقة:

ففي سورة طه فإنه لم يعد أهله إلا وعدا واحدا وهو أن يحضر لهم قبسا ولهذا قدمه كما في الموضع الرابع، لأنه كان يخاطبهم ثم أنشأ خيرا آخر، وهو فيه يتحدث عن نفسه وما يرجوه لها، قال تعالى: ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ (طه 10).

وأما سبب اختلاف طه عن القصص والنمل فهو أن سياق طه من قوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى (عليه السلام): ﴿أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾، ومناسبة ذلك لما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا (ص) وافتتاحها بقوله تعالى: ﴿مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ (طه 2)، يلح لك التلاؤم والتناسب". (2)

أما النمل فإنها قدمت تطلب الخبر لأنه الأهم في سياقها، فذكرت حاله مع أهله ما هو مقدمة لذهابه للمناداة.

وأما ما تميزت به النمل من إعادة الفعل: ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ فهو مؤكد لكون ما في النمل هو خبر من موسى (عليه السلام) عما في عزمه ونيته وذلك أن إعادة الفعل تأكيد للطلب.

وأما سورة القصص فقد قدم فيها ذكر طلب الخبر؛ لأنه الأهم له ولأهله، والسورة تبين تفاصيل حالهم، ولهذا خلت من زيادة النمل: ﴿أَوْ آتِيكُمْ﴾؛ لأن العطف فيها وقع على فعل الرجاء ولو أعيد الفعل ناقض ذلك معنى الرجاء.

أما ما تميزت به القصص من قوله: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ﴾، فكأن هذا إخبار عن غاية ما يريد موسى (عليه السلام) لأهله، وهو إحضاره نارا بين أيديهم، من شجر غليظ له جمر يبقى

1 - جامع البيان، ج 18، ص 239.

2 - ملاك التأويل، ج 2، ص 813.

مدة على ما يعطيه من الجذوة، والقصص تفصل أحوال موسى بما يظهر فيها من التلطف الرباني به وبالمستضعفين من المؤمنين.

الموضع الثامن: في طه: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ يَمُوسَىٰ ﴿١١﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۗ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾﴾ (طه 11-12).

وفي النمل: ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبَّحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾ يَمُوسَىٰ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ (النمل 8-9).

وفي القصص: ﴿فَلَمَّا أَتَتْهَا نُودِيَ مِنَ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ (القصص 30).

قال الراغب: " الإيتان: مجئ بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتى و أتاوي".⁽¹⁾ وقال الراغب أيضا: " جاء.: جاء يجيء مجيئة ومجيئا. والمجيء كالإيتان لكن المجيء أعم؛ لأن الإيتان مجيء بسهولة، والإيتان قد يقال باعتبار القصد، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول ".⁽²⁾

لقد اقتصت سورتا طه والقصص بلفظ وهو المجيء بسهولة، وقد كان هذا اللفظ هو المناسب لهاتين السورتين، وذلك أنه يصف لنا حال موسى (عليه السلام) وهو يقترب من النار، وكيف كان يمشي مترقبا على مهله لأنه كان يأتي إلى مكان لا يدري ما وراءه وفي ليل مظلم، وطه كانت تبين حاله وهو يتلقى الرسالة، وأما القصص تفصل حاله وهذا من سياقها. وأما النمل فلما كانت تبين الخبر بإجماله، فإنها جاءت باللفظ العام الذي يبين الخير كيف وقع، وليس لها غرض في بيان حال موسى (عليه السلام) كيف يكون، بالتفصيل.

أما عن اختلاف النداء في السور الثلاث، فمن خلال سياق سورة طه التي بينت جلاله أمر الرسالة، وعظيم شأنها، حين أمره ربه بخلع نعليه، واخبره بأنه أختاره فحمله تكاليف هذا الأمر، ولهذا فقد ناداه وأضاف ربوبيته إليه، وفي هذا تلطف ظاهر وهو تكليف كذلك، وحال النبي (ص) مثل هذا، بل والتكليف بحقه (ص) أعظم.

وأما النمل فقد كان النداء فيها شاملا مجملا قد عم في ذكر البركة كل من عمته، وهم موسى (عليه السلام) والملائكة والبقة وأخبر عن نفسه سبحانه بأنه المستحق للعبودية وحده كما يفيد لفظ الجلالة، واخبر أيضا باسمين عظيمين شاملين لجميع خلقه ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فكان ذلك كالتهيئة لأمر الرسالة حين أمره بعد هذا النداء بان يلقي عصاه فلم يكن النظر إلى تفصيل حال موسى وهذا سياق النمل.

1 - مفردات ألفاظ القرآن، ص60.

2 - مفردات ألفاظ القرآن، ص212.

أما القصص فكانت تقص القصة بالتفصيل ، ولهذا فقد فصلت مجيء موسى (عليه السلام) إلى النار، وفصلت تحديد مكانه، ومن أين نودي ؟ ثم ما ناداه به ربه من النداء في قوله: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ، فقد ناداه بالربوبية العامة للخلق ، ليبين له من الذي يناديه، وما حقيقة ما هو مقدم عليه؛ ولأن: " وصف ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يدل على أن جميع الخلائق مسخرة له ليثبت بذلك قلب موسى (عليه السلام) من هول تلقي الرسالة. (1)

- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِثْلِ غَيْرِ سُوءِ آيَةِ أُخْرَىٰ﴾ (طه 22).

وقال تعالى: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِثْلِ غَيْرِ سُوءِ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (النمل 12).

وقال تعالى: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِثْلِ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ (القصص 32).

الموضع الأول: في طه: ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾ وفي النمل: ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾، وفي القصص: ﴿أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾.

الموضع الثاني: في القصص زيادة: ﴿وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾.

الموضع الثالث: في طه والنمل سماها آية فقال في طه: ﴿آيَةً أُخْرَىٰ﴾.

وقال في النمل: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾، وفي القصص سماها برهان: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَنَانِ﴾.

الموضع الرابع: في النمل: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِمْ﴾، وفي القصص: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾.

قال الراغب الأصفهاني: " ضم: الضم: الجمع بين الشيئين فصاعدا قال: ﴿وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ﴾، ﴿وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾، و الإضمامة جماعة من الناس أو من الكتب أو الريحان أو نحو ذلك، وأسد ضمضم وضماضم: يضم الشيء إلى نفسه، وقيل: بل هو المجتمع

¹ - التحرير والتنوير، ج10، ص112 بتصرف.

الخلق، وفرس سباق الأضماميم: إذا سبق جماعة من الأفراس دفعة واحدة " (1).
وأما ﴿أَسْلُكُ﴾ فقال ابن فارس: " سلك: السين واللام والكاف أصل يدل على نفوذ شيء
في شيء... و المسكلة: طرة تشق من ناحية الثوب، وإنما سميت بذلك لامتدادها ن وهي
كالسلك " (2).

أما الجناح فقد قال النحاس: " ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾... حكى أكثر أهل
اللغة أن الجناح من أسفل العضد إلى آخر الإبط، وربما قيل لليد جناح، ولهذا قال أبو عبيدة:
﴿جَنَاحَكَ﴾ أي يدك " (3).

أما الجيب فهو موضع القطع من الدرع والقميص (4).
ومن المواضع الأربعة الأخيرة؛ كانت طه تبين حال موسى (عليه السلام) بالنظر لتلقيه
للوحي، وتبين لطف الله به، وتونس النبي (ص) وتخفف عليه أمر القرآن.
وقد أظهر أمر التلطف في بدء الرسالة، فقد بعثه الله بآيتين هما العصا واليد، كما أنه في
النمل والقصص قد بين حال موسى حين شاهد العصا التي وصفها بوصف الجان وذكر هرب
موسى، ولم يذكر ذلك في طه بل اقتصر على وصف العصا على ما فيها من آية وهو الحياة،
ولم يكن منظورا هنا إلى حال فرعون وقومه كما في النمل ولا إلى حال موسى بما كان يحاذره
من فرعون وملئه كما هو الشأن في القصص، ولهذا السبب فقد خلت طه من زيادة القصص كما
في الموضع الثاني.

وقد خلت طه من الزيادة التي زادت النمل والقصص في الموضع الرابع وهذه الزيادة
هي في النمل قوله تعالى: ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾، فكانت هذه الزيادة في النمل من أجل
الإجمال، وأما في القصص فمن أجل تبين حال المستضعفين وحسن تدبير الله لهم.

أما النمل فقد ورد فيها الأمر بقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ بلفظ الإدخال، واليد
بعد دخولها الجيب تكون تحت الإبط، وعليه فإن الأمر في النمل في بدايته والأمر هنا ظاهر
حيث تخرج اليد بيضاء وهذا ما يظهر لفرعون وملئه من هذه الآية.

أما خلو النمل من الزيادة التي تميزت بها القصص كما في الموضع الثاني، فإن تلك
الزيادة كانت تعالج شأن إزالة الرهب عن موسى، وهذا ما لم تكن به النمل لأن سياقها سياق
إجمال، ولهذا فقد أجمل ذكر الآيات التسع التي بعث بها موسى.
كما في الموضع الثالث من هذا المقطع.

1- مفردات ألفاظ القرآن، ص512 .

2- معجم مقاييس اللغة، ص490 .

3- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، تح، محمد على الصابوني، ط1، جامعة أم القرى مكة المكرمة، 1409 هـ، ج5، ص178 .

4- ينظر معجم مقاييس اللغة، ص231 .

أما في القصص فلم يكن المقصود من قص الخبر إظهار الآية لموسى (عليه السلام) وحده، كما هو الشأن في طه، بل كان ينظر فيها لحال فرعون وملئه كذلك، لما كان موسى يحاذره منهم والسورة كانت تعالج ذلك فذكرت اللفظ الذي يبين الآية لفرعون وملئه، وهو لفظ ﴿أَسْأَلُكَ﴾ لأنه يبين دخول اليد في الجيب كما يراها فرعون وملؤه، فجعلها آية بعد أن تسلك في الجيب، ويعد ضم الجناح من الرهب، وفي هذا تطمين لموسى (عليه السلام) فكانت بهذا آية وتفتيرا لخوفه ولم يكن لفظ ﴿وَأَدْخِلْ﴾ ليبيّن هذا.

وأما خوف موسى من العصا فقد قال فيه ابن كثير: " وقوله تعالى: ﴿وَأَضْمُمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ قال مجاهد: من الفرع، وقال قتادة: من الرعب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير: مما حصل لك من خوفك من الحية، والظاهر أن المراد أعم من هذا، وهو يده فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف " (1) ويؤيد ذلك انه سبحانه عقب بعد أن ذكر آيتي اليد والعصا، بقوله لموسى: ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، والبرهانان " حجتان نيرتان، وبرهانان: فعلان لقولهم ابره الرجل إذا جاء بالبرهان، من قولهم بره الرجل إذا ابيض، ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرة". (2)

فالمقصود هنا رعاية حال موسى فيما يحاذره من فرعون، فمع تطمينه بضم جناحه إليه حال الخوف، كان هذا تطمينا له من الله بأن اليد والعصا حجتان تقطعان كل عذر لفرعون وملئه فلا تخف.

ولهذا قال في القصص: ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾، فخص الملاء هنا، لأنهم هم الذين كان موسى يحاذرهم مع فرعون، لا القوم الذين هم تبع لفرعون وملئه والسورة تفصل أحوال موسى.

- المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي الْتَابُوتِ فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ۗ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾﴾ (طه 37-39)

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ (القصص 7).

1- تفسير ابن كثير، ج6، ص235.
2- إرشاد العقل السليم، ج7، ص12-13.

الموضع الأول: في طه الآيات على أسلوب الخطاب، وفي القصص على الغيبة.

الموضع الثاني: في طه ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا﴾، وفي القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾.

الموضع الثالث: في طه ﴿إِلَىٰ أُمِّكَ﴾، وفي القصص ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾.

أما الأسلوب الخطاب في طه فهو في سياق المنة على موسى (عليه السلام) منذ ولادته، وتكليمه من الله وكذا استجابة دعائه بأن شرح صدره ويسر أمره وجعل له وزيرا من أهله.

قال ابن عطية: " وقوله: ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ إبهام يتضمن عظم الأمر، وجلالته في النعم،

وهذا نحو قوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ (النجم 16)، وهو كثير في القرآن

والكلام⁽¹⁾، والسورة تقص من نبأ موسى (عليه السلام) ما هو محل العبرة، وهذا هو محل العبرة الموافق لسياقها كما هو معلوم⁽²⁾.

أما القصص فقد كانت القصة فيها تساق خبرا مفصلا لأحوال موسى من لدن ولادته، وما يظهر في ذلك من حسن تدبير الله ورعايته له وللمستضعفين من المؤمنين.

قال ابن عاشور: " ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾، عطف جملة: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ

أَسْتَضِعُّوهُ﴾ (القصص 5)، إذا الكل من أجزاء النبأ. وتتضمن هذه الجملة تفصيلا لمجمل قوله:

﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَىٰ الَّذِينَ أَسْتَضِعُّوهُ﴾ فإن الإرادة لما تعلقت بإنقاذ بني إسرائيل من الذل خلق الله المنقذ لهم⁽³⁾.

ثم استمرت القصة تسوق من نبئه حتى استنقذ الله به (عليه السلام) بني إسرائيل.

الموضع الرابع: في طه: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، وفي القصص: ﴿أَنْ

أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾.

قال صاحب أضواء البيان: " و﴿أَنْ﴾ في قوله ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ﴾ هي المفسرة؛ لأن الإيحاء

فيه معنى القول دون حروفه. .. والتابوت: الصندوق، واليم: البحر، والساحل شاطئ البحر، والبحر المذكور: نيل مصر... والضمير في قوله: ﴿أَنْ أَقْدِفِيهِ﴾ راجع إلى موسى بلا خلاف،

وأما الضمير في قوله: ﴿فَأَقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، فليل راجع إلى التابوت، والصواب رجوعه إلى موسى في داخل التابوت؛ لأن تفريق الضمائر غير حسن⁽⁴⁾.

1- المحرر الوجيز، ابن عطية، ج 4، ص 44.

2- ينظر التحرير والتنوير، ج 16، ص 215.

3- التحرير والتنوير، ج 20، ص 83.

4- أضواء البيان، ج 4، ص 439.

أما القذف فقد قال الراغب في معناه: " قذف، القذف: الرمي البعيد، والاعتبار البعد فيه قيل: منزل قذف وقذيف، وبلدة قذوف بعيدة، وقوله ﴿فَأَقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾، أي: اطرحيه فيه " (1). لقد كانت سورة طه تذكر منة الله على موسى في ولادته ونشأته، ولهذا فالله تعالى يبين له بعد الإجمال يبين له التفاصيل؛ أي كيف أوحى إلى أمه أن تقذفه في تابوت وبهذا يكون التابوت منة، ونجاته إلى الشاطئ منة أخرى، وهذا سر الزيادة في طه في هذا الموضع. أما القصة فإنها كانت منذ البدء تقص الخبر بالتفصيل، وفي ذكر هذه الأحوال المفصلة ما يبين حسن تدبير المولى، ولهذا بدأت بذكر الإرضاع الذي سيكون سببا لرده إلى أمه حين حرم الله عليه المراضع.

قال ابن جرير: " وقوله: ﴿إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾، يقول: إنا رادو ولدك إليك للرضاع، لتكوني أنت ترضعينه، وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله. وفعل الله ذلك بها وبه " (2).

ولم يكن لذكر تفاصيل وضعه في التابوت غرض، لأنه كان وسيلة والغرض ذكر أحوال هذه الأم الملهوفة وكذا ذكر الإلقاء والطرح في اليم وهو أمر صعب لا يكون إلا بتدبير الله عز وجل، ولهذا - ربما - لم يذكر التابوت أصلا في القصة، وإنما كان التركيز على تأنيس أم موسى وكيف أن الله سوف يرده لها.

الموضع الخامس: في طه: ﴿فَلْيُلْهِمِ اللَّهُ بِاللِّسَانِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾، وفي القصة: ﴿وَلَا تَحْزَنْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا رَأَدُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

لقد جاءت هذه الجملة التي تميزت بها طه، وهي قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْهِمِ اللَّهُ بِاللِّسَانِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾. تبين منة أخرى يمن بها الله على كليمه، غير ما سبق من احتيال أمه في إخفائه، وهو تنمة ما أراد الله أن يجريه بما قضى من قدره، وهو أن يلقي هذا الغلام بالساحل ولم يقل يقذفه اليم بالساحل، فالقذف فيه شدة وبعد، بل كان طرحا سهلا، وقدر الله أن يأخذه عدو الله وعدوه، الذي يعرفه وقد تربى في بيته، وقد ألقى الله محبة موسى كانت سببا في أن يدعه المجرمون فلا يقتلوه، وبهذا يتم الامتتان على موسى (عليه السلام) و كل هذا ظاهر في سياق سورة طه.

1 - مفردات ألفاظ القرآن، ص 661.

2 - جامع البيان، ج18، ص158.

وأما القصة فكان تعقيبها مناسباً لسياقها؛ فإن تمام أطفاف المولى وحسن تدبيره أن أوحى إلى أم موسى وثبتها، والعطب إن أتاها فلا يأتيها إلا من أحد أمرين.

الأول: الخوف على هذا الرضيع من الغرق أو من فرعون أو من الضياع.⁽¹⁾

الثاني: الحزن لفراقه.

فثبتها الله ومنع عنها هاتين الآفتين، ثم بشرها ببشارتين: أنه راده إليها ليرضع منها، والثانية أنه جاعل له شأنًا حين يجعله رسولاً، كل هذه الأمور يهيئها الله حتى يبين لنا حسن تدبيره في تخلص المستضعفين.

- المقطع الرابع:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ ۗ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا ۗ فَلَبِثْتَ سِتِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلٰى قَدَرٍ يٰمُوسٰى ﴿٤٠﴾ (طه 40).

وقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (القصص 13).

الموضع الأول: في طه: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ﴾، وفي القصص: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ﴾.

الموضع الثاني: في القصص زيادة ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۗ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن فارس: "رجع: الراء والجيم والعين أصل كبير مطرد منقاس يدل على رد وتكرار"⁽²⁾.

أما الرد فقال الراغب: "الرد صرف الشيء بذاته أوبحالة من أحوال يقال: رددته فارتد"⁽³⁾.

لقد كانت طه في سياق الامتنان على موسى (عليه السلام)، وتميز طه بلفظ الرجوع هو من هذا الشأن وذلك أن آل فرعون لما عثروا على هذه المرضع التي قبل الطفل ثديها فإنهم سيستأجرونها لرضاعه، والطفل في تلك المدة سيكون بين بيت آل فرعون وبيت المرضع، فكان الله يمتن عليه بهذا فضلاً عن العودة الأولى وهذا من صميم سياق سورة طه.

1 - ينظر جامع البيان، ج18، ص158.

2 - معجم مقاييس اللغة، ص441.

3 - مفردات ألفاظ القرآن، ص348.

أما القصة فإنها تقص القصة بالتفصيل وكانت تصف حال أم موسى وما نابها من الحزن على ابنها فقد: " قدر الله ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسرورا " (1) فموسى لن يعود إلى أمه عودة كاملا لكنها بعد الذي رآته من شدة الحزن كان هذا هو غاية المنى لها، والآيات تصف عودة الابن أول مرة فكان لفظ الرد - وهو الأعم - هو الأنسب في هذا الموضع وكذا لما يقتضيه سياق سورة القصص.

- المقطع الخامس:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافْ إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ أَهْدَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴿٤٦﴾ (طه 46-47).

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٩﴾ (الشعراء).

الموضع الأول: في طه ﴿إِنِّي مَعَكُمْ﴾، وفي الشعراء: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾.

قال ابن تيمية عن معية الله سبحانه لخلقه، إنه سبحانه: " فوق سماواته على عرشه، على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا: يعلم ما هم عاملون " (2).
قال ابن جرير: " ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ من قوم فرعون ما يقولون لكم، ويجيبونكم به " (3).

ومنهم من يجعل المعية هنا معية عامة، لأن المعية أسندت لضمير الجمع، فيكون فرعون معهم، فلا تدل على النصر والتأييد، لأن ذلك لا يكون لكافر. (4)

وقال صاحب أضواء البيان: " صيغة الجمع في قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ للتعظيم، وما ذكره جل وعلا في هذه الآية من رده على موسى (عليه السلام) خوفه القتل من فرعون وقومه، بحرف الزجر "كلا"، وأمره أن يذهب هو وأخوه بآياته مبينا لهما أن الله معهم: أي وهي معية خاصة بالنصر والتأييد، وأنه مستمع لكل ما يقوله لهم فرعون... " (5).

1 - تيسير الكريم الرحمن، ص 568.

2 - مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 3، ص 124.

3 - جامع البيان، ج 17، ص 554.

4 - ينظر معاني القرآن، ج 5، ص 67.

5 - أضواء البيان، ج 6، ص 369.

لقد كان سياق طه في بيان ما من به الله على موسى، وأخيه هرون (عليهما السلام) من اللطف، فكان المناسب لهذا نداؤه لهما بضمير المتكلم: ﴿إِنِّي﴾، ثم بإضافة معيته الخاصة لهما، التي تكشف من نصره وتأييده ولطفه بهما.

أما سورة الشعراء فكان المقصود فيها أمر الرسالة، وبيان ما يلزم أنبياءه بشأنها، فقد جاء الضمير بصيغة الجمع تعظيماً لأمر الرسالة، وأضيفت معيته سبحانه لضمير الجمع الذي يبين معينه العامة للمرسل به والمرسل إليهم، وهذا من سياق هذه السورة.

الموضع الثاني: في طه: ﴿أَسْمِعُ وَأَرْى﴾، وفي الشعراء: ﴿مُسْتَمِعُونَ﴾.

قال ابن القيم: " وهو أن حركة اللسان بالكلام أعظم حركات الجوارح، وأشدّها تأثيراً في الخير والشر، والصلاح والفساد، بل عامة ما يترتب في الوجود من الأفعال، إنما ينشأ بعد حركة اللسان، فكان تقديم الصفة المتعلقة به أهم وأولى" (1)

لقد أثبت الله سمعه ورؤيته في سورة طه بصيغة الفعل المضارع، فقوله سبحانه: " ﴿أَسْمِعُ وَأَرْى﴾: جملة استئنافية لبيان مقتضى هذه المعية الخاصة، وهو السمع والرؤية، وهذا سمع ورؤية خاصان يقتضيان النصر والتأييد والحماية من فرعون" (2)

ولما كان من سياق سورة طه اللطف والتأنيس للنبیین الكریمین، ذكر الله معيته الخاصة لهما بما يشمل إحاطته سبحانه لجميع أحوالهما مع فرعون، وفرعون سيقابلهما بالقول والفعل، والقول متعلق بالسمع والفعل متعلق بالرؤية، وقد يكون هذا سر ذكر الرؤية في سورة طه. وأما سورة الشعراء، فإنه لما كان السياق فيها في شأن الرسالة، وشأن الرسول حيالها، فقد ذكر فيها المعية العامة، ومقتضاها صفة السمع التي تتعلق بقول المدعو وما يتكلم به من التصديق أو التكذيب، لهذا جاءت صيغة الاسم التي تدل على الدوام والثبوت، ومعية الله معية ذاتية ثابتة لم يزل ولا يزال منصفاً بها.

الموضع الثالث: في طه: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، وفي الشعراء: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قال الزمخشري: " فإن قلت هلا تلى الرسول كما تلى في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، قلت: الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة، فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنية، وجعل هنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية فيه - إذا وصف به - بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر" (3).

1 - بدائع الفوائد، ج1، ص130.

2 - محمد الصالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط2، 1415هـ، ج1، ص414.

3 - الكشاف، ج3، ص295-296.

إن لفظ التثنية في طه ظاهر في بيان اللطف بالنبیین (عليهما السلام)، وذلك بظهور المؤازرة لبعضها في مقابلة الطاغية، وقد كان إرسال هارون في طه بطلب من موسى: ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ (طه 29).

أما الشعراء فإنها كانت تعالج حرص نبينا (ص) على أمر الرسالة، حتى لا يلحقه فيه الحرج والضيق، فكانت تقص قصصا لقوم مهلكين كانت رسلهم حريصة على هدايتهم، وعليهم فقد كان أمر الرسالة في الشعراء ملحوظا، وقد علل موسى (عليه السلام) طلبه من ربه مؤازرة هارون بخوفه من التكذيب في رسالته.

الموضع الرابع: في طه أضاف الربوبية بضمير المخاطب: ﴿رَبِّكَ﴾، وفي الشعراء أضافها للعالمين: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

وناسب ما بينت عليه سورة طه من تأنيس نبينا (ص)، وتأنيس موسى كليمة... فلما كان بناء هذه السورة بجملتها على التلطف والتأنيس ناسب ذلك ما أمر به موسى (عليه السلام) من دعاء فرعون آنسه وألطفه، وأمر موسى (عليه السلام)، وأخوه هرون (عليه السلام) بذلك فقليل لهما: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ وجرى على ذلك قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، فأشعرت هذه الإضافة بالتلطف الرباني، ولما لم تكن سورة الشعراء مبينة على ما ذكر، وإنما تضمنت تعنيف فرعون وملئه وإغراقهم وأخذ المكذبين للرسول بتكذيبهم، وهذا في طرف من التلطف، ورد فيها: ﴿فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، بإضافة اسمه سبحانه إلى العالمين ليحصل منه أنه مالك الكل وأنهم تحت قهره تعالى وفي قبضته⁽¹⁾.

- المقطع السادس:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾ (طه 77).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ﴾ (الشعراء 52).

وقال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ (الدخان 23).

الموضع الأول: في الدخان زيادة: ﴿لَيْلًا﴾.

الموضع الثاني: اختلاف التذييل ففي طه: ﴿فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا

وَلَا تَخْشَى﴾، أما في الشعراء والدخان فكان التذييل ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾.

¹ - ملاك التأويل، ج2، ص822-823.

قال الراغب: "سرى: السري: سير الليل، يقال: سرى و أسرى، قال تعالى: ﴿فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ﴾ (هود 81، الحجر 65)، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾ (الإسراء 1)."⁽¹⁾

وعن زيادة ﴿لَيْلًا﴾ في الدخان قال ابن عاشور: "وفائدة التأكيد أن يكون له من الوقت ساعة ما يبلغون به شاطئ البحر الأحمر قبل أن يدركهم فرعون بجنوده".⁽²⁾

ولما كان موضوع قصة بني إسرائيل في الدخان الهجرة كما في سياق السورة، لهذا اختصت بما يبين مزيدا من شأن الهجرة، فقد ظهر في هذه السورة حرص نبي بني إسرائيل (عليه السلام) على الخروج بقومه من قهر الظالمين وتضرعه ودعائه ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتُوْا لِي قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾ ﴿فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾ (الدخان 22-23)، وحرصه هذا ودعاؤه يبين ما هم فيه من شدة الطلب وما نابهم نت الضيق، ولهذا كان التعقيب فيها: ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾، ولهذا قد أظهر الله في هذه السورة مزيد عناية بأمر الهجرة، وذلك حين أمر نبيه بأخذ الحيلة والخذر فينطلق تحت جناح الظلام سترا له ولمن تبعون.

وفي سورة الدخان - كما يبدو من سياقها - إرهاب للهجرة النبوية الكريمة، وفي هذا توجيه للمؤمنين بأن يأخذوا الاستعداد والأهبة.

وأما سورة طه فكان سياقها ما هو معلوم من التلطف والترفق، ولهذا فقد كانت تظهر دائما التطمين والتلطف لموسى (عليه السلام) من أجل ذلك لم تأت هذه الزيادة ويؤكد ذلك ما ذيلت بها الآية من بالغ التطمين: ﴿فَأَضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى﴾.

أما الشعراء فكانت تظهر المغالبة مع فرعون والملا بالتحصيل، وكانت تظهر عناية موسى بأمر ربه، ومقارنته لأهل الباطل، وتظهر شدة أهل الباطل وقوة معارضتهم، لهذا كان فيها من التعقيب كالذي في الدخان ﴿إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ﴾، وأعلم موسى (عليه السلام) بأمر الاتباع لأن: "القصص من إعلامه بذلك تشجيعه"⁽³⁾ موسى (عليه السلام) بقومه لأنه ليس سياقها، ولهذا لم يكن فيها زيادة: ﴿لَيْلًا﴾، بل قد أظهرت السورة وثوقه واطمئنانه عندما تراءى الجمعان: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّآ لَمُدْرَكُونَ﴾ ﴿قَالَ كَلآءُ إِنِّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾

(الشعراء 61-62).

1 - مفردات ألفاظ القرآن، ص 408.

2 - التحرير والتنوير، ج 25، ص 299.

3 - التحرير والتنوير، ج 19، ص 129.

وهذه السياقات المختلفة بين السور ليس معناها أن موسى (عليه السلام) كانت له أحوال مختلفة متضادة، بل المعنى أن الله سبحانه يظهر من أحواله في كل سياق ما هو محل العبرة والعظة.

سورة الشعراء

قال ابن تيمية: " جميع آل حم مكيات، وكذلك آل طس"⁽¹⁾
وقال صاحب أضواء البيان: " أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجائه، فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القرآن، وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشف.

ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول: أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائما عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه، وذكر ذلك بعدها دائما دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن وأنه حق.⁽²⁾

وقد كان مضمون سورة الشعراء دفع الحزن الذي يجده النبي (ص) في إعراض قومه عن القرآن والدين، وذلك ببيان مهمته (ص) في هذا الأمر، وأنها الإبلاغ، وأما الهداية فمن الله سبحانه، فقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَنخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (الشعراء3)، والتعبير وبالبنخع يبين قدر ما كان النبي(ص) يحده من إعراض قومه.

قال الزمخشري: " البخع: أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء، وهو عرق مستبطن الفقار، وذلك أقصى حد الذبح".⁽³⁾

ثم شرع الله يقص على نبيه (ص) قصص قوم مكذبين لم ينشأ سبحانه هدايتهم، وبدأ فيها قصة موسى من مبدأ الوحي، وذكر فيها شدة و عتاوة فرعون في الإعراض عن الحق، كما ذكر حرص موسى على هدايته، وتستمر القصة حتى تنتهي بالغرق.

وقد سبق ما التقى من هذه السورة بما قبلها في خمسة مواضع تعرض إليها هذا البحث أما ما التقى بما بعدها فسندرسه في حينه.

1 - منهاج السنة النبوية، ج7، ص99.

2 - أضواء البيان، ج3، ص5.

3 - الكشف، ج3، ص290.

- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُمْ عَلَيَّ ذُنُوبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ (الشعراء 12-14).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَرُونَ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۗ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ (القصص 33-34).
موضع واحد: وهو أنه قدم في الشعراء ذكر خوفه من التكذيب على خوفه من القتل، وفي القصص العكس.

إن قاعدة التقديم عند أهل البلاغة: هي تقديم ما العناية به أشد وقد قدم في الشعراء خوفه من التكذيب، لأن سياق السورة يظهر اهتمام موسى (عليه السلام) بأمر الرسالة، وتبليغ ما أمره الله به، ولهذا قدم على ذكر الخوف من القتل.
وأما سورة القصص فكانت تقص قصته بالتفصيل، وكانت تظهر أحوال موسى (عليه السلام) منذ ولد، وما اكتنفته من صعوبات ومشاق، وهي في كل ذلك تبين حسن تدبير الله له، ومن هذا أن الله حين أمره بالذهاب إلى فرعون، أبدى موسى حذره من أمرين فقدمت السورة ما يتعلق بذاته على ما يتعلق بالرسالة، لأنها كانت تبين حسن إحاطة الله له في كل أحواله. والله أعلم.

- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَبْعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (الشعراء 25).

وقال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (الشعراء 34).

الموضع الأول: في الآية 25 ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ وفي الآية 34 ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾.

الموضع الثاني: في الآية 25 قال فرعون: ﴿أَلَا تَسْتَبْعُونَ﴾، وفي الآية 34 كان قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

إن الآية الأولى كانت خطاباً من فرعون لمن حوله، وذلك أول ما جاءه موسى (عليه السلام) بالدعوة، قد يكون عند فرعون في ذلك الوقت الملاً أو بعضهم.

قال الزمخشري: "فإن قلت: ومن كان حوله قلت: أشرف قومه... وكانت للملوك خاصة"⁽¹⁾ فخطابه في الموضع الأول كان خطاباً لمن حضر، ولهذا فإنه لما دعاه موسى إلى

¹ - الكشاف، ج3، ص299.

عبادة رب العالمين سأل فرعون سؤال جحد واستكبار: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (الشعراء 23).

فلما استمرت مناظرة موسى (عليه السلام) لفرعون وبين له الآيات البيّنات، فأظهر له آية العصا واليد، هنا فزع فرعون إلى الملأ، لأن هذا الأمر قد همهم، فأراد أن يصدر فيه برأي ومشورة هؤلاء، ولهذا كان خطابه لهم: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ﴾ (الشعراء 34-35).

المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الشعراء 57-59).

وقال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ (الدخان 25-28).

الموضع الأول: في الشعراء: ﴿فَأَخْرَجْنَهُمْ﴾، وفي الدخان ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾.

الموضع الثاني: في الشعراء: ﴿وَكُنُوزٍ﴾، وفي الدخان: ﴿وَزُرُوعٍ﴾.

قال السمر قندي: " وكنوز يعني من الأموال الكثيرة " (1)

الموضع الثالث: في الدخان زيادة: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَيَكْفِهِمْ﴾.

قال الثعالبي: " والنعمة بفتح النون: غضارة العيش، ولذاذة الحياة " (2)

الموضع الرابع: في الشعراء ﴿كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، وفي الدخان: ﴿كَذَلِكَ

وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

لقد كان سياق الشعراء يفصل المغالبة بين موسى (عليه السلام) وفرعون وآله، وهو في هذا المقطع يبين نهاية هذه المغالبة، وفي لفظ الإخراج المضاف إلى ضمير العظمة ما يبين شدة الغلبة وقوة القهر: ﴿فَأَخْرَجْنَهُمْ﴾، ثم بدأ يعدد مالذي اخرجهم منه.

وذكر الكنوز التي هي للملأ وأهل الجاه ولم يذكر الزروع لأنها للعامة والخاصة.

وأما الزيادة التي تميزت بها الدخان في الموضع الثالث وهي قوله: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا

فَيَكْفِهِمْ﴾، فهي وصف لحالهم الناشئة عن التمتع بالنعمة، ولهذا لم يذكر أنهم أخرجوا منها في

1 - تفسير السمر قندي، نصر بن محمد السمر قندي، تح، محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، دت، ج2، ص555.

2 - تفسير الثعالبي، ج4، ص39.

الشعراء، بل ذكر وصف لحالهم الناشئة عن التمتع بالنعم، فإذا أخرجوا منها فقدوا التلذذ والتمتع لأنه نتيجة.

وأما التصريح ببني إسرائيل في الشعراء فهذا سببه أن السورة تبين حال المغالبة بين أتباع موسى وأتباع فرعون، ولهذا بينت الريح لأهل الله والخسار لأهل الشيطان. وأما الدخان فكانت تبين لأهل الشرك في مكة مصير قوم ظلموا وطغوا قبلهم، وقد أحل الله بهم عقوبته التي لا ترد عن القوم الظالمين.

قال ابن عطية: " وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ (الآية) قبله محذوف تقديره: فغرقوا وقطع الله دابرهم، ثم أخذ يعجب من كثرة ما تركوا من الأمور الرفيعة الغبيطة في الدنيا و﴿كَمْ﴾ خبر للتكثير"⁽¹⁾، ثم فصل في أنواع النعم الشاملة لجميعهم، فذكر الجنات، والعيون، والزرورع، ولم يقل الكنوز؛ لأن الكنوز لا تعمهم، بل هي لبعضهم، وأما الزرورع فقد أترفهم الله بها بما حباهم من العيون والأرض الخصبة، ثم ذكر المقام الكريم، " وهو ما كان لهم من المجالس والمسكن الحسنة"⁽²⁾، ثم زادت الدخان بذكر وصف يبين حالهم مع هذه النعم ليبين عظم خسارتهم، وهذا الوصف هو التمتع، فقال في الموضع الثالث: ﴿وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾، وتركوا هذا التمتع بكفرهم وظلمهم.

وأما إيهام القوم الوارثين في الموضع الرابع فسببه أن القصد في الآيات هو الحديث عن هلاك الطغاة، وليس بهم من يرثهم بعد هلاكهم، فكان في الإيهام بيانا العظيم خسارتهم لا غير ذلك، ولهذا كان الحديث عن شأن بني إسرائيل بعد ذلك بجمل أخرى فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ ۗ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ (الدخان 30-31)، وفي بيان خسارة أهل الكفر، ثم التعقيب ببيان نجات المؤمنين: " الإشارة إلى أن الله تعالى ينجي الذين آمنوا بمحمد (ص) من عذاب أهل الشرك بمكة، كما نجي الذين اتبعوا موسى (عليه السلام) من عذاب فرعون، وجعل طغيان فرعون وإسرافه في الشر مثلا لطغيان أبي جهل وملئه"⁽³⁾.

1 - المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص72.

2 - الكشاف، ج4، ص269.

3 - التحرير والتنوير، ج25، ص304.

سورة النمل

قال ابن الجوزي: " وهي مكية كلها بإجماعهم".⁽¹⁾
 وقال ابن جرير: " يقول الله تعالى ذكره: وإنك يا محمد، لتحفظ القرآن وتعلمه ﴿مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ (النمل 6)، يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأنباء خلقه مصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم، والحادث منها".⁽²⁾
 وقال البقاعي عن هذه السورة: " مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط مستقيم وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، و كل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة، فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة"⁽³⁾.
 وقد وردت قصة موسى في هذه السورة مختصرة، لكنها كانت مجملة قد استوعبت شأن بني إسرائيل من إرسال موسى (عليه السلام) حتى نهاية فرعون، فكانت بهذا تبين عجيب أمر القرآن وعظيم أخباره كما ظاهر في افتتاحها.
 وقد مر بنا ما التقى من آياتها مع ما قبلها من السور، أما التقى بما بعدها فسيأتي في حينه.

– مقطع واحد فقط:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (النمل 10-11).

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ ﴿٣١﴾﴾ (القصص 31).

الموضع الأول: في النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، وفي القصص: ﴿وَأَنَّ أَلْقِ عَصَاكَ﴾.

قال الزمخشري: " فإن قلت علام عطف قوله ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ قلت على ﴿بُورِكَ﴾ لأن المعنى: ﴿تُودِي أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾، ﴿أَلْقِ عَصَاكَ﴾، كلاهما تفسير لنودي، والمعنى قيل له: بورك من في النار، وقيل له: ألق عصاك، والدليل على ذلك قوله تعالى:

1 - زاد المسير، ج6، ص153.

2 - جامع البيان، ج18، ص8.

3 - نظم الدرر، ج14، ص122.

﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ (القصص 31)، بعد قوله: ﴿أَنْ يَمْوَسَىٰ إِنَّيَ أَنَا اللَّهُ﴾ (القصص 30) على تكرير حرف التفسير، كما تقول: كتبت إليك أن حج أو اعتمر، وإن شئت أن حج واعتمر".⁽¹⁾ أما في القصص فقد نادى الله موسى (عليه السلام) بندا بين، نبأ في الأول بربوبيته للعالمين، وكان النداء الثاني تطمين لموسى (عليه السلام) ولهذا جاء حرف التفسير بين النداءين.

الموضع الثاني: في القصص زيادة: ﴿أَقْبِلْ﴾.

الموضع الثالث: في النمل: ﴿إِنِّي لَا تَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل ١٨) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (النمل ١٩) وفي القصص، لأن تلك الزيادة مدلول عليها بسياق الكلام. قال ابن عاشور: "وزيادة ﴿أَقْبِلْ﴾ في النمل: لأنه لما أدير خوفا من الحية كان النهي عن الخوف يدل على معنى طلب إقباله، فكان الكلام هناك إيجازاً، وكان هنا مساواة تفننا في حكاية القصتين".⁽²⁾

أما المساواة في المقطع الثالث في النمل، فهو الموافق لسياقها؛ لأنه يبين الحكم العام لجميع المرسلين عند ربهم سبحانه، والسورة تبين أمر الرسالة بإجمال كما هو معلوم من سياقها. أما القصص فقد كانت زيادة قوله: ﴿أَقْبِلْ﴾ فيها تبين مزيد التلطف بموسى (عليه السلام) على ما هو معروف من سياقها، وكذلك ما ختمت به آيتها، كما في الموضع الثالث ووجه ذلك أن قوله ﴿يَمْوَسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾ "أبلغ ما يكون في التامين وعدم الخوف فإن قوله ﴿أَقْبِلْ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله وهو لم يزل في الأمر المخوف ن فقال: ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ أمر له بشيئين: إقباله وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال وهو: أنه قد يقبل وهو غير خائف ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فلذلك قال: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾ فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى (عليه السلام) غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئناً واثقاً بخبر ربه، قد ازداد إيمانه وتم يقينه، فهذه آية أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون؛ ليكون على يقين تام فيكون أجراً له وأقوى واصلب.⁽³⁾

1 - الكشف، ج3، ص339..

2 - التحرير والتنوير، ج20، ص113.

3 - تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص565.

سورة القصص

سورة القصص مكية وهي آخر آل طس⁽¹⁾

وأما غرض السورة التي تدور عليه، فهو تقرير إرادة الله وقدرته في إنقاذ المستضعفين من المؤمنين حتى يكون لهم التمكين في الأرض، وإظهار قدرته وإرادته في إهلاك أهل الباطل العالين في الأرض، ومن سنن الله في أرضه أنه: " إذا أراد أمراً هياً أسبابه، وأتى بها شيئاً فشيئاً بالتدريج لا دفعة واحدة ".⁽²⁾

وقد بنيت السورة من ألطاف الله ما لا يخطر على بال فأجرى الله سبحانه: " من الأسباب - التي لم يشعر بها أولياؤه ولا أعداؤه - ما هو سبب موصل إلى هذا المقصود"⁽³⁾ وقد ورد ما التقى منها مع ما قبلها من السور، ولم يرد ما يشبه تعابيرها في ما بعدها من السور.

سورة الزخرف

قال ابن الجوزي: " وهي مكية بإجماعهم"⁽⁴⁾

وقد كانت السورة في أولها تنذر كفار مكة، وتحكم عليهم بالإسراف، وتمثل حالهم بحال من كفر قبلهم، فذكرت السورة قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه، وقد كان حالهم في عبادتهم مشابهاً لكفار قريش.

قال ابن جرير: " وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد: إنني براء مما تعبدون من دون الله، فكذبوه، فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها"⁽⁵⁾.

سورة الدخان

قال ابن عاشور: " وهي مكية في قول الجمهور، قال ابن عطية: هي مكية لا أحفظ خلافاً في شيء منها، ووقع في الكشف استثناء قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (الدخان 15) ولم و يعزه إلى قائل، ومثله القرطبي"⁽⁶⁾.

- 1 - ينظر الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص164.
- 2 - تيسير الكريم الرحمن، ص568.
- 3 - تيسير الكريم الرحمن، ص561.
- 4 - زاد المسير، ج7، ص301.
- 5 - جامع البيان، ج20، ص575.
- 6 - التحرير والتنوير، ج25، ص275.

وهذه السورة تبين التحدي بالقرآن كحال السور المفتحة بالحروف المقطعة، ولكن هذه السورة ذكرت تخصيص نزول القرآن في الليلة المباركة وهي ليلة القدر: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان3)، وبينت عظمة هذه الليلة وعظمة المنزل سبحانه، وقررت كفار قريش بما يقرون به من توحيد الربوبية: ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ (الدخان7-8) ثم قررت أنهم: ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون به من الأخبار، ولكنهم في شك منه، فهم يلهون بشكهم.⁽¹⁾

وأما قصة موسى (عليه السلام) في سورة الدخان فقد كان موضوعها واحدا وهو الخروج ببني إسرائيل من مصر، وتخليصهم من فرعون. وقد ما مضى ما التقى من هذه السورة بما قبلها في موضعين درسهما هذا البحث، وليس فيها ما يلتقي بما بعدها من الذكر الحكيم،

وبسورة الدخان يتم الشق الأول من الدراسة التطبيقية، والتي يبدو من خلال السياق العام، أن فيها تحذيرا لقريش من المصير المرعب الذي ينتظرهم إذا هم تهادوا في شركهم وطغيانهم، ثم تثبيت فؤاد النبي (ص) و تقوية معنويات أصحابه، بتأكيد أن جميع الرسل قد تعرضوا للتكذيب من أقوامهم ولكنهم صبروا حتى جاءهم النصر من الله.

¹ - جامع البيان، الطبري، ج21، ص13.

الفصل الثالث :

الفترة الإسرائيلية
(بعد الخروج)

قد تناول البحث في شقه الأول من الدراسة التطبيقية، المقاطع التي عالجت قصة نبي الله موسى (عليه السلام) مع بني إسرائيل في المرحلة المصرية، أو مرحلة قبل الخروج، وهي المرحلة التي يخدم فيها القصص القرآني وعلى تعدد السياقات - وبالخصوص قصة موسى - الدعوة المحمدية وما واجهها من تعنت قريش و تصديهم للحق، وفي الحال شبه، لأن نبي الله موسى وقومه قد تعرضوا للاضطهاد، والتعذيب، والتكيل، كشأن النبي محمد (ص) ومن اتبعه في بداية الدعوة، وفي ذلك تثبت لفؤاد النبي (ص) وأتباعه.

وفي الشق الثاني من هذه الدراسة يتتبع البحث المقاطع التي تناولت قصة نبي الله موسى (عليه السلام) في المرحلة الإسرائيلية، أو مرحلة ما بعد الخروج، لأن السياقات تختلف بين المرحلتين، ففي المرحلة الأولى دار الصراع بين النبي موسى (عليه السلام) وأتباعه من جهة، وفرعون وملئه من جهة ثانية، أما في المرحلة الثانية فأصبح الصراع بين موسى وأتباعه، لأنهم كفروا بأنعم الله عليهم، بعد أن أنجاهم من فرعون وملئه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، فكانت السياقات مختلفة، فهي في أغلبها تذكير لهم بأنعم الله عليهم، و في الحال شبه بحال اليهود في المجتمع المسلم في المدينة عند إقامة الدولة الإسلامية، وكيف كانوا ينفضون العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين المسلمين.

سورة البقرة

سورة البقرة مدنية بلا خلاف⁽¹⁾، والسياق العام لهذه السورة هو: " تقرير أصول العلم وقواعد الدين"⁽²⁾، ولقد كانت هذه السورة الكريمة من أوائل السور التي نزلت بالمدينة إن لم تكن أولها.

قال ابن حجر رحمه الله: " واتفقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة أنزلت بها"⁽³⁾. ولقد اعتنت السورة بمخاطبة جميع طوائف المجتمع المدني ومنهم طائفة بني إسرائيل، والملاحظ أن قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون في هذه السورة قد وردت بسياق ظاهر فيه تعداد النعم والآلاء على بني إسرائيل ويتبين ذلك في المواضع التالية:

أن أول آية في القصة أتت كالعنوان فكانت صريحة في تحديد هذا السياق حيث يقول تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَآرْهَبُونِ﴾ (البقرة:40)، ثم أكد هذا المعنى في الآية (47) حيث قال سبحانه: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة 47)، وكذا في الآية (122) من السورة نفسها قال سبحانه: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة 122).

قال ابن القيم: "وأما قوله تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (البقرة 47) فإنما يذكرهم بنعمه على آبائهم، ولهذا يعددها عليهم واحدة واحدة؛ بأن أنجاهم من آل فرعون، وبأن فرق بهم البحر، وبأن وعد موسى أربعين ليلة فضلوا بعده، ثم تاب عليهم وعفا عنهم، وبأن ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى... فكانت نعمه على آبائهم نعمة منه عليهم تستدعي منهم شكرا، فكيف

1 - البرهان في علوم القرآن، ج1، ص187.

2 - مجموع الفتاوى، ج14، ص41.

3 - الإتيان في علوم القرآن، ج1، ص80-81.

تجعلون مكان الشكر عليها كفركم برسولي، وتكذيبكم له، ومعاداتكم إياه، وهذا لا يدل على أن نعمته المطلقة التامة حاصلة لهم في حال كفرهم، والله أعلم".⁽¹⁾

قال البقاعي: "المقصود من سياق قصص بني إسرائيل في البقرة الاستجلاب للإيمان بالتذكير بالنعم".⁽²⁾

وممن صرح بظهور هذا السياق ابن الزبير الغرناطي في قول الله تعالى: ﴿نُغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ (البقرة 58) حيث قال: "فورد جمعها في البقرة مكسرا ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم والآلاء.....فطابق الوارد في البقرة ما قصد من تكثير الآلاء والنعم".⁽³⁾

وكذا صرح السيوطي بذلك في الآية نفسها حيث قال: " ونكته أن آية البقرة في معرض ذكر النعم عليهم".⁽⁴⁾

- المقطع الأول:

يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة 48).

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (البقرة 123).

قال القرطبي: " وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ النفس الكافرة لا كل نفس " ⁽⁵⁾

1 - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، تح ،علي العمران ، دار عالم الفوائد،مكة المكرمة، 1425هـ، ج2، ص427.

2 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج 2، ص70.

3 - ملاك التأويل، ج 1، ص207.

4 - الإتيان في علوم القرآن، ج 2، ص997.

5 - تفسير القرطبي، ج 1، ص258.

والإجماع هنا إجماع أهل السنة، وإلا فقد خالف في ذلك الوعيدية من المعتزلة والخوارج فنفوا الشفاعة للعصاة. (1)

وأما لفظ العدل فقد قال ابن جرير: " والعدل في كلام العرب بفتح العين الفدية... و إنما قيل للفدية من الشيء والبدل منه "عدل" لمعادلته إياه وهو من غير جنسه...كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِنْ تَعَدِلَ كُلٌّ لِّأَخِيهِ فَلَا يُلَاقِيهِ﴾ (الأنعام70) بمعنى وإن تعد كل فدية لا يؤخذ منها ". (2)

وهاتان الآيتان في شأن اليهود كما يبدو من السياق، قال ابن عاشور: " وقد كانت اليهود تتوهم أو تعتقد أن نسبتهم إلى الأنبياء وكرامة أجدادهم عند الله تعالى مما يجعلهم في أمن من عقابه على العصيان والتمرد.... وقد أشار لذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائدة18)". (3) والآية الأولى جاءت في أول قصة بني إسرائيل، وقد افتتح الله خطابه لهؤلاء اليهود المعاصرين للنبي (ص) قبل هذه الآية بثماني آيات، والذي يظهر أن الخطاب كان معنيا به أحبار اليهود وعلماؤهم وأما العامة فكانوا تبعاً لهم، وقد افتتح هذا الخطاب بتذكيرهم بنعمة الله عليهم استجاباً للإيمان، ثم أمرهم بالوفاء.

قال ابن جرير: " وهو في هذا الموضع عهد الله ووصيته الذي أخذ على بني إسرائيل في التوراة أن يبينوا للناس أمر محمد (ص) أنه رسول الله، وأنهم يجدونه مكتوباً عندهم أنه نبي الله، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله ". (4)

ولقد سعى هذا الخطاب في قطع العوائق التي قد تعوق هؤلاء الأحبار عن اتباع النبي (ص) ، وكان أعظم ذلك ما هو عليه من الرياسة.

قال ابن جرير: " فتأويل الآية إن: لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي و آياته بئمن خسيس، وبيعهم إياه تركهم إبانة مافي كتابهم من أمر محمد (ص) للناس، بئمن قليل، وهو

1 - الكشاف، ج1، ص140.

2 - تفسير الطبري، ج1، ص637.

3 - التحرير والتنوير، ج1، ص486-487.

4 - جامع البيان، ج1، ص596.

رضاهم بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم " (1) ثم حذرهم من أن تعميهم شهوة الرياسة فيلبسوا الحق بالباطل، أو أن يكتموا أمر محمد (ص) ، والخطاب بعد ذلك حقيقة من حقائقهم التي يستترون وراءها وهو أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بالتوراة، وهم ينسون حظهم منها في تركهم الامتثال لما تأمر به التوراة من اتباع النبي (ص) كما هو تفسير ابن عباس للآية. (2)

ثم تأتي الآية محل البحث فتجثت آخر ما قد بقي عند هؤلاء الأبحار من عوائق، فإنه بعد أن بين الله علمه بخبايا أمورهم، وحذرهم من حب الرياسة الذي أبعدهم عن الحق، فإنه لا بد أن تكون نفوسهم قد علمت ذنبها وإن لم تقربه، وهذا ما يجعلهم لا يستعظمون ذنوبهم وعصيانهم للنبي (ص) ، ولهذا فقد بادرت الآيات من أول القصة إلى نزع هذا العائق، فكان المناسب أن يكون الحديث عن النفس الشافعة، وبيان حالها لهؤلاء القوم، فقد ذكر الشفاعة نافيا قبولها من الشافع، ثم تثنى بذكر العدل الذي قد تقدمه النفس الشافعة من مالها أو من مال المشفوع له بين يدي شفاعتها فيما لو ردت شفاعتها. (3)

أما الآية الثانية فجاءت آخر آية في القصة، وقد سبقها آيات كثيرة تبين فضائح اليهود، وقد يكون بين أول القصة و آخرها زمن طويل لم يستجب فيه اليهود فكان أن تغير الخطاب لهم وذلك أننا نجد في آخر القصة أن الخطاب قد توجه إلى النبي (ص) حتى يتبع ملتهم، وحذره من اتباعهم، ثم بين أن من أوتي التوراة حقا هو من يتبعها، ومن اتبعها لا بد أن يتبع النبي (ص) لما فيها من الأمر باتباعه، وهؤلاء هم المؤمنون بالتوراة، ومن لم يؤمن بالنبي (ص) لم يؤمن بالتوراة وأولئك هم الخاسرون. (4)

وبعد ذلك تأتي الآية محل البحث وقد انكشفت للقوم حقيقة أنفسهم ، ولهذا كان الحديث عنهم هم عن النفس الثانية المجرمة المجزي عنها وبأنها لن يقبل منها يوم القيامة الفداء؛ لأنه لم يبق لهم بعد تعلق بالآباء، بل كأن هذه النفس قد عرفت جرمها فهي تريد الفداء بما لها، وفي هذا من التبييس لهم وإقامة الحجة.

1 - جامع البيان، ج1، ص604.

2 - جامع البيان، ج1، ص614.

3 - شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت، دت، ج1، ص252.

4 - جامع البيان، ج2، ص495 بتصرف.

فكان البدء بنفي العدل هو المناسب بلفظ القبول، لأنها تقدمه عن نفسها من مالها، هو شدة التيبس لهم أيضا حتى يعلموا أن لا سبيل للخلاص إلا بهذا الدين، وذلك أن في نفي نفع الشفاعة ثبوت أصل الشفاعة في ذلك اليوم. (1)

والمعنى أن الشفاعة نافعة في ذلك اليوم لكن ليس لكم لما أنتم عليه من الكفر. وبهذا يتبين سر اختصاص كل موضع بما اختص به، وسر تغاير الألفاظ.

- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (البقرة 49).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (الأعراف 141).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَخْرَجْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ (إبراهيم 6).

إن التضعيف في البقرة: ﴿أَخْبَرْنَاكَ﴾ دون الأعراف وإبراهيم، اختلاف في الصيغة الصرفية، قال ابن عاشور: "فأما إن كان فعل المضاعف للتعدية فإن إفادته التكثير مختلف فيها، والتحقيق أن المتكلم قد يعدل عن تعدية الفعل بالهمزة إلى تعديته بالتضعيف لقصد الدلالة على التكثير؛ لأن المضاعف قد عرف بتلك الدلالة في حالة كونه لازما فقارنته تلك الدلالة عند استعماله للتعدية مقارنة تبعية...وأنا أرى أن استفادة معنى التكثير في حال استعمال المضاعف للتعدية أمر من مستتبعات الكلام حاصل من قرينة عدول المتكلم البليغ عن المهموز، الذي هو خفيف إلى المضاعف الذي هو ثقيل، فذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما". (2)

1 - تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، 1423، ج2، ص39.

2 - التحرير والتنوير، ج1، ص11.

قال ابن الزبير: " فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكرها بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد ناسبه التضعيف لإثباته بالكثرة، ولو قيل هنا: وإذ أنجيناكم لما أنبأ بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر، وأيضا فإن التضعيف في: ﴿مَجِيْنَكُمْ﴾ يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله: ﴿يُذِيحُونَ﴾، ولم يكن لفظ: أنجيناكم غير مضاعف ليناسب ". (1)

وأما الأعراف فإن هذه الصيغة: ﴿أَجِيْنَكُمْ﴾ محتملة أن تكون من مقول الله لهم، ويكون المقصود به اليهود الذين بين ظهرائي مهاجري النبي (ص)، وهذا ما ذهب إليه ابن جرير. (2)

وقد يكون هنا " امتنانا من الله اعترضه بين القصة وعدة موسى (عليه السلام) انتقالا من الخبر والعبرة إلى النعمة والمنة فيكون الضمير ضمير تعظيم ". (3)

أما الموضع الثاني في هذا المقطع فقد جاء في البقرة ﴿يَسْؤَمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذِيحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وفي الأعراف ﴿يَسْؤَمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

فهناك إبدال كلمة بكلمة ففي البقرة وإبراهيم ﴿يُذِيحُونَ﴾. وفي الأعراف ﴿يُقْتَلُونَ﴾ وكذا زيادة حرف العطف في سورة إبراهيم، فقد فصل في البقرة بين جملة ﴿يَسْؤَمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وجملة: ﴿يُذِيحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وفصل في الأعراف بين جملة ﴿يَسْؤَمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ وجملة ﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ وأما في سورة إبراهيم فقد وصل فقال ﴿يُذِيحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾.

فإذا عدنا إلى إبدال ﴿يُذِيحُونَ﴾ و﴿يُقْتَلُونَ﴾ فلا بد من النظر إلى المفردتين في اللغة، يقول الراغب: " أصل الذبح : شق حلق الحيوانات وقوله: ﴿يُذِيحُونَ﴾ (البقرة 49) على التكثر أي يذبح بعضهم إثر بعض " (4).

1 - ملاك التأويل، ج1، ص199.

2 - جامع البيان، ج10، ص413 بتصرف.

3 - التحرير والتنوير، ج9، ص85.

4 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح، صفوان داودي، دار القلم، دمشق، ط، 1412 هـ، ص 326.

" فالذبح مبني عن القتل وصفته"⁽¹⁾. وأما القتل فهو أعم من ذلك، قال الراغب: " أصل القتل: إزالة الروح عن الجسد"⁽²⁾، أما ابن فارس فقال: " القاف والتاء واللام أصل يدل على إذلال وإماتة"⁽³⁾ فهو يزيد قيذا وهو الإذلال المصاحب لإزالة الروح. وأما عن الوصل والفصل قال أبو حيان: " فحيث لم يؤت بالواو جعل الفعل تفسيرا لقوله تعالى: " يسومونكم"، وحيث أتى لها ذل على المغايرة، وأن سوم العذاب كان بالتذبيح وبغيره"⁽⁴⁾

وبالرجوع إلى كل لفظ في سياقه فإننا نعلم أن سياق البقرة في تعداد النعم على بني إسرائيل يمتن الله بها عليهم، فتكون هذه النجاة فردا من أفراد النعمة ذكرهم الله بها بلفظ التذبيح مفسرا بها سوم العذاب، والمخاطبون في البقرة هم بنو إسرائيل الذين في عهد النبي (ص)، ولم يحصل لهم سوم عذاب مباشر ولا تذبيح أبناء مباشر وإنما كان هذا لأسلافهم، والمنة على أسلافهم منة عليهم، فكان التذكير لهم ببيان سوم العذاب بما هو أبلغه وأشدّه، وهو تذبيح الأبناء بشق الحلق، واستحياء النساء وبقائهن تحت يد العدو يفعل بهن ما يشاء من الفاحشة والعار.⁽⁵⁾

وأما سورة الأعراف فقد كان الأمر فيها تذكيرا لبني إسرائيل بنعمة الخلاص من الفناء الذي كان يرومه لهم فرعون وقومه، فكان لفظ التقتيل وهو اللفظ العام الشامل لجميع أنواع القتل، هو اللفظ المناسب، إذ المقصود بيان خلاص القوم من الاستئصال والفناء، فإنه لو بقي الحال على ما كان يرصده العدو لهم لفنيت بنو إسرائيل، ولقد بين الله هذا الرصد من هذا العدو في هذه السورة قبل ذلك فقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآئِهَاتِكَ قَالَ سَنُقْتِلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ (الأعراف 127).

1 - ملاك التأويل، ج1، ص 199.

2 - مفردات ألفاظ القرآن، ص 655.

3 - معجم مقاييس اللغة، ص 874.

4 - التحرير والتنوير، ج1، ص 493.

5 - دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقطي، ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1417 هـ، ص 18.

قال القاسمي: " وانظر كيف قال العدو: ﴿سُقِّتِلْ﴾ باللفظ الأعم إذ كان قصدهم الإفناء لا صورة من العذاب، وهذا التهديد من فرعون كان بعد ظهور أمر موسى وقد سبقه تقتيل لبني إسرائيل يدل عليه قولهم لنبيهم عليه السلام بعده بآية: ﴿قَالُوا أَوْزِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ (الأعراف 129). والذي يظهر - والله اعلم - أن هذا التقتيل الأول لم يكن عاما لجميع الأبناء؛ لأنه لم يقصد به الفناء، بل كان مقصودا به تقليل بني إسرائيل حتى يبقوا تحت القهر والخدمة، ولا يكون لهم شوكة يخشى منها القوم على ملكهم، قال تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾ (القصص 4). وذلك إماتة لرجالهم، وتقليل لعدد هم، كيلا يكثرُوا فينازعوه الملك". (1)

وأما سورة إبراهيم فإن موسى (عليه السلام) هو المخاطب لبني إسرائيل، وكان خطابا لهم جميعا يذكرهم بنعمة الله عليهم، فالموضع موضع تعداد نعم وآلاء، فكان المناسب أن يذكرهم أولا بإنجاء الله لهم مما قد وقع عليهم جميعا وكابده جميعهم، نجاة كانت على وجه من السرعة والصفة لم تكن في معهودهم.

- المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعَجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة 51).

وقال تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف 142).

إن زيادة كلمة ﴿وَإِذْ﴾ في البقرة ظاهر مناسبتها لما سبق بيانه من سياقها - تعداد النعم على بني إسرائيل - وقد كانت هذه المواعدة لموسى (عليه السلام) من جملة هذه

¹ - محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ، ج5، ص416.

النعم التي امتن الله بها عليهم إذ كان فيها تكليم الله سبحانه لموسى، ولم تأت هذه الزيادة في الأعراف، لأن السياق لم يكن في تعداد النعم على بني إسرائيل، بل لبيان قصتهم مفصلة وما صحب ذلك من عصيانهم وتمردهم.

أما الموضع الثاني من هذا المقطع ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ في البقرة، ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْتَهَا بِعَشْرٍ﴾ في الأعراف.

قال أبو حيان: " ونصب أربعين على المفعول الثاني لواعدنا على أنها هي الموعودة، أو على حذف مضاف التقدير تمام أو انقضاء أربعين حذف وأقيم المضاف إليه مقامه فأعرب إعرابه كما قال الأخفش ". (1)

وقال ابن جرير: " ومعنى ذلك إذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها فالأربعون ليلة كلها داخلة في الميعاد. وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أي رأس الأربعين ومثل ذلك بقوله: ﴿وَسَّأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف 82) ، وبقولهم اليوم أربعون منذ خرج فلان واليوم يومان أي تمام يومين وتمام أربعين، وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل وخلاف ظاهر التلاوة ". (2)

وقال الشنقيطي: " وأظهر الأقوال عندي في المراد بهذا الوعد الحسن: أنه وعدهم أن ينزل على نبيهم كتابا فيه كل ما يحتاجون إليه من خير الدنيا و الآخرة. وهذا الوعد الحسن المذكور في قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ﴾ (طه 80)". (3)

وقد مر بنا فيما سبق أن البقرة مقصود بها تعداد النعم، وعليه فلا بد أن يكون الإجمال في البقرة لمناسبة هذا السياق. أما عن فصل العشر عن الثلاثين في سورة الأعراف فقال الزركشي رحمه الله: " فإن قلت فلم ذكره في هذه السورة أعني الأعراف الثلاثين ثم العشر وقال في البقرة: ﴿وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ولم يفصل العشر

¹ - محمد بن يوسف أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط، تح، عاد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ، ج1، ص357.

² - جامع البيان، ج1، ص666.

³ - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1413هـ، ج4، ص535.

منها؟ والجواب - والله أعلم - أنه قصد في الأعراف ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها فذكرها على صفتها، وفي البقرة إنما ذكر الامتتان على بني إسرائيل بما أنعم به عليهم فذكر نعمة عليهم مجملة " (1)

ومن خلال هذه النصوص فإن الاحتكام كان للسياق حيث أن الله سبحانه وعد موسى (عليه السلام) أولاً ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر كما هو ظاهر في آية الأعراف، ولم يفصل الأربعين في البقرة بل أجمل، ليكون التذكير في البقرة بنهاية الأمر على ماتمت به النعمة وكمل به الفضل على بني إسرائيل بتمام ذلك لنبيهم كليم الله، أما في الأعراف فقد قصد سبحانه ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها، وهو الموافق لسياق سورة الأعراف.

- المقطع الرابع:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ (البقرة 55).

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَإِنَّا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ (النساء 153).

لقد كان سياق البقرة في تعداد النعم على بني إسرائيل، ولقد كانت آياتها على أسلوب الخطاب لهم، لأنها في سياق تذكيرهم بالنعم ودعوتهم للدخول في هذا الدين. وأما سورة النساء فقد وردت القصة في سياق التهيب والزرع لبني إسرائيل، فكان المناسب لهذا أن يكون الخطاب للنبي (ص)، وهذا ماسيأتي بيانه في هذا البحث. لقد كانت هذه الصاعقة لبني إسرائيل بسبب ظلمهم أنفسهم " وظلمهم أنفسهم كان مسألتهم موسى (عليه السلام) أن يريهم ربهم جهرة؛ لأن ذلك مما لم يكن لهم مسألته " (2)

1 - البرهان في علوم القرآن، ج2، ص479.
2 - جامع البيان، ج7، 642.

ولقد كانوا يعلمون أن ذلك لم يكن لهم؛ لأنهم قيدوا إيمانهم بالرؤية عسيانا منهم وتكبرا على رأي ابن عاشور. (1)

ولقد كانت سورة البقرة معنية بتذكير القوم بالنعمة استجلابا لهم للإيمان، ولقد صرحت البقرة بذنبهم القبيح، وهو تقييدهم الإيمان بالرؤية ومجاهرتهم بذلك فلم يحتج إلى زيادة: ﴿بُظْلِمِهِمْ﴾. أما سورة النساء فقد افتتح الحديث عن بني إسرائيل فيها بهذه الآية

التي تبين نعتهم، فكان سياق الحديث عنهم مقصودا به زجرهم وترهيبهم.

قال ابن عاشور: " واستنطرد هنا لما لحقهم من جراء سؤالهم هذه الرؤية وما ترتب عليه فقال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بظُلْمِهِمْ﴾ وهو ما حكاه تعالى في سورة البقرة بقوله:

﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ وكان ذلك إرهابا لهم وزجرا ولذلك قال:

﴿بُظْلِمِهِمْ﴾ والظلم هو المحكي في سورة البقرة من امتناعهم من تصديق موسى إلى أن

يروا الله جهرة " (2)

-المقطع الخامس:-

قال تعالى: ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة 57).

وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ أَثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَنَهُ

قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ

مَشْرِبَهُمْ وَوَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا

رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف 160).

1 - التحرير والتنوير، ج4، ص15 بتصرف.

2 - التحرير والتنوير، ج4، ص15.

وقال تعالى: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَجْجَيْنَاكُمْ مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ
وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ
غَضَبِي ۗ وَمَن سَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَد هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ (طه 80-81).

قد سبق أن سورة البقرة تخاطب اليهود المعاصرين للنبي (ص) ، وأما الأعراف فهي تخص خبر بني إسرائيل وتسجل تاريخهم، وما يتبع ذلك من بيان عصيانهم. وأما آيتا طه فقد قيل: إنه " إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي (ص) على معنى أنه تعالى قد من عليهم بما فعل آبائهم أصالة وبهم تبعاً " (1)، وقيل إنها خطاب خاطب الله به بني إسرائيل بعد إنجائه لهم: " أي قلنا يا بني إسرائيل، وحذف القول كثير في القرآن " (2). والسياق قبلها وبعدها في شأن بني إسرائيل المحدث عنهم لا المعاصرين للنبي (ص) فكون هذه الآية متصلة لا معترضة أولى، فإن ما قبلها ظاهر أنها حكاية عن أسلافهم وما بعدها من قوله تعالى: ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ (طه 83) كذلك، ولهذا فالوجه هو الحكاية لا الإنشاء (3).

والقصة في سورة طه متسلسلة على الترتيب الزمني، فإذا تبين هذا وتقرر أن ما في طه إنما هو خبر عن بني إسرائيل، فهذا القول قيل لبني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون، وعلى هذا يكون إنزال المن والسلوى متقدماً لبني إسرائيل قبل التيه، فيكون كأنه ضيافة من ربهم لهم حين نجاتهم وقد كانوا بحاجة إلى الطعام. (4)

وفي هذا الاختلاف الحاصل بين الآيات قال الشنقيطي عن آية البقرة: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ هنا محذوف دل المقام عليه، و المعنى: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ أي: أنعمنا عليهم هذه النعم فقابلوا نعمنا بعدم الشكر، وارتكاب

1 - محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث، بيروت، ط4، 1414 هـ ، ج6، ص32.

2 - الكشف ج6 ، ص33 بتصرف يسير.

3 - إرشاد العقل السليم ، العمادي ، ج6 ، ص33 بتصرف يسير.

4 - أبو محمد عبد الحق عن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ ، ج4، ص55.

المعاصي، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بتلك المعاصي التي قابلوا بها نعمنا ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽¹⁾. وآية الأعراف مثلها في المعنى.

وأما سورة طه فالمعنى فيها: أن الله يأمرهم بالأكل من رزقه، وينهاهم عن مجاوزة الحد فيه، وبين لهم أن ذلك يسبب لهم حلول غضبه، وأن من يحلل عليه غضب الله يهلك.⁽²⁾

فالبقرة كانت تخاطب معاصري النبي (ص) وهي ببيانها النعمة على أسلافهم وبيانها جزاءهم، تدعو للإيمان، وتحذرهم مثل صنيع أسلافهم لكي لا يحل بهم مثل ما حل بأولئك، وهذا هو سياق البقرة.

وأما الأعراف فهي تسجل تاريخهم، ومن ذلك بيان حالهم تجاه تلك النعمة، وهذا التاريخ هو دائما لمسارعتهم في العصيان.

وأما طه فلكونها خطابا للناجين من بني إسرائيل في أول أمرهم واستقبالهم لهذه النعم، فلقد كان المناسب هو وعظهم وتحذيرهم من حلول العقوبة بهم إن لم يقوموا بحقها، وحثهم على التوبة والإنابة.

- المقطع السادس:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ^{٥٨} وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة 58).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتِكُمْ^{٥٩} وَسَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف 161).

¹ - محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، دار ابن القيم، الرياض، ط1، 1424 هـ،

ج1، ص106

² - جامع البيان، ج16، ص125 بتصرف يسير.

الموضع الأول في هذا المقطع في البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وفي الأعراف ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾. لقد أسند الفعل في البقرة إلى الله، وبصيغة الجمع، " وصيغة الجمع للتعظيم" (1)؛ لأن هذا المناسب لسياق تعداد النعم فيها.

وأما الأعراف فقد بني الفعل لما لم يسم فاعله، " وإيراد الفعل هنا مبينا لغير المعلوم جريا على سنن الكبرياء " (2) ، والمناسب لسياق الأعراف والذي هو معني ببيان سرعة القوم في الكفر وقساوتهم وعصيانهم في كل مرة، ولهذا فقد جاء الفعل على الصيغة التي تشعر بالسخط عليهم وترك العناية بهم. أما الموضع الثاني في هذا المقطع : في البقرة ﴿أَدْخُلُوا﴾ وفي الأعراف ﴿أَسْكُنُوا﴾، وليس هذا مما يسمى بالترادف لأن: " أمرهم بالدخول مغاير من حيث المعنى لأمرهم بسكناها وإن كان الأمر بدخولهم قد يشير بما نسق معه إلى سكناها لكن ليس نصابا ولا هو ظاهر" (3)

أما الموضع الثالث: في البقرة ﴿فَكُلُوا﴾ وفي الأعراف ﴿وَكُلُوا﴾، ومن المعلوم أن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب أما الواو فتفيد مطلق الجمع .
أما الموضع الرابع: في البقرة ﴿رَغَدًا﴾، وب حذفها في الأعراف.

لقد أمر الله بني إسرائيل بدخول القرية، والتي هي بيت المقدس قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: " والتحقق الذي عليه جمهور المفسرين أنها بيت المقدس ويدل عليه قوله تعالى في المائدة: ﴿يَقَوْمِ أَدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ (المائدة: 21) هذه القرية " . (4)

أما الموضع الخامس في هذا المقطع: في البقرة: ﴿وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾ وعكسها في الأعراف: ﴿وَقُولُوا حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ لقد كان السجود الذي أمر به الله بني إسرائيل سجود شكر على الفتح والنصر ورد البلد المقدس إليهم، (5)

1 - العذب النمير، ج1، ص107.

2 - روح المعاني، ج9، ص88.

3 - ملاك التأويل، ج1، ص104.

4 - العذب النمير، ج1، ص107.

5 - إرشاد العقل السليم، ج3، ص283.

ولما كان سياق البقرة في تعداد النعم كان المناسب بذكر المناسب لهذا السياق وهو تقديم ذكر سجود الشكر لله على هذه النعمة على ذكر طلب حط الذنوب.

وأما الأعراف فإنه لما كان الغرض من سياقها بيان عصيان القوم وكثرة ذنوبهم كان المناسب تقديم مايناسب هذا السياق، وهو طلب حط الذنوب على سجود الشكر والله أعلم. (1)

أما الموضع السادس في هذا المقطع: في البقرة: ﴿حَطَّيْتُكُمْ﴾ وفي الأعراف ﴿حَطَّيْتِكُمْ﴾؛ وهو اختلاف في الصيغة الصرفية، ففي البقرة جمع تكسير وفي الأعراف جمع مؤنث سالم، ومعلوم أن هذه الصيغة من جمع التكسير هي جمع كثرة، وجمع المؤنث السالم جمع قلة، وجمع القلة يدل على الثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وجمع الكثرة يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية. (2)

قال ابن الزبير: "ورد جمعها في البقرة مكسرا ليناسب ما بنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم، والآلاء... لأن جموع التكسير... إنما ترد في الغائب للكثرة... وأما الجمع بالألف والتاء فبابه القلة في الغالب أيضا". (3)

أما الموضع السابع: في البقرة: ﴿وَسَزَيْدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ وبحذف الواو في الأعراف. قال ابن الزبير: "وأما زيادة واو العطف ﴿وَسَزَيْدُ﴾، فإنما جيء بها هنا لأن المتقدم قبل هذه الآية من لدن قوله سبحانه: ﴿يَبْنِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة 40) إنما هي آلاء ونعم... فناسب ذلك عطف قضية الزيادة بالواو ليجري ما تقدم من تعداد الآلاء وضروب الإنعام بالعفو عن الزلات والامتنان بضروب الإحسان... وأما آية الأعراف فلم يرد قبلها ماورد في سورة البقرة". (4)

1 - العذب النمير، ج 1، ص 108 بتصرف.

2 - البحر المحيط، ج 3، ص 89.

3 - ملك التأويل، ج 1، ص 207.

4 - ملك التأويل، ج 1، ص 208.

- المقطع السابع:

قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة:59).

وقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف:162).

الموضع الأول في هذا المقطع: في الأعراف ﴿ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ وبحذف ﴿مِنْهُمْ﴾ في البقرة.

لقد كان سياق البقرة في مخاطبة اليهود الذين في عصر النبي (ص) ، وكان مقصودا بذلك الخطاب دعوتهم للإيمان، وهذه الآية التي معنا تقص مقابلة بني إسرائيل لأنعام الله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك (1).

وأما الأعراف فكان سياقها يقص قصة القوم مفصلة بذكر إحسان محسنهم وإساءة مسيئهم، فكان ورود زيادة ﴿مِنْهُمْ﴾ في الأعراف تبييناً لحال المحسنين وتسجيلاً للعصيان والقساوة على العاصين كما هو معلوم من سياقها.

أما الموضع الثاني في هذا المقطع: في البقرة ﴿فَأَنْزَلْنَا﴾ وفي الأعراف ﴿فَأَرْسَلْنَا﴾.

أما لفظ الإنزال فقال فيه ابن فارس: " نزل: النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه ... والنازلة الشديدة من شدائد الدهر تنزل، والنزال في الحرب: أن يتنازل الفريقان." (2).

1 - تفسير ابن كثير، ج1، ص278.

2 - معجم مقاييس اللغة، ص 1022.

وأما لفظ الإرسال فقد قال فيه ابن فارس: " رسل: الرء والسين واللام أصل واحد فلفظ الإنزال فيه معنى الهبوط من العلو وفيه معنى الشدة، فهو المناسب لتذكير المخاطبين في سورة البقرة وهم اليهود المعاصرون للنبي (ص)."

أما الأعراف فإنها تقص تاريخ القوم وما حصل لهم بالتفصيل، ولفظ الإرسال هو الذي يبين هذا، وذلك أنه يبين لنا أن العذاب قد تتابع عليهم وكثر بسبب ذنوبهم فالسورة معنية بتاريخهم ومن ذلك صفة العذاب الذي حل بهم.

الموضع الثالث: في البقرة ﴿عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ وفي الأعراف ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لقد أظهر في البقرة في محل الإضمار حين قال: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، ولم يقل (فأنزلنا عليهم) " ليسجل عليهم موجب هذا العذاب، وأنه الظلم، ولذا عدل عن الضمير إلى الظاهر... ليبين أن هذا الرجز منزل عليهم بسبب ظلمهم، والضمير لا يعطي هذا" (1)

وأما الأعراف فقد سبق أن في زيادة كلمة ﴿مِنْهُمْ﴾ إفادة للتخصيص والتميز لأجل ما بنيت عليه سورة الأعراف من تفصيل القصة ببيان حال المحسن والمسيء.

الموضع الرابع في هذا المقطع: في البقرة ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وفي الأعراف ﴿بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

أما لفظ الفسق فقد قال فيه ابن فارس: " فسق: الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي الفسق، وهي الخروج عن الطاعة، تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها: إذا خرجت" (2)

وأما لفظ الظلم فقد قال فيه ابن فارس: " ظلم: الظاء واللام والميم أصلان صحيحان: أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعدياً" (3)

ففي البقرة تحذير لهؤلاء المعاصرين للنبي (ص) من عمل أسلافهم، فالفسق وهو الخروج عن الطاعة، هو العمل الذي سبب لأسلافهم العقوبة، ولم يكن لفظ الظلم ليبدل على ذات العمل دلالة لفظ الفسق.

1 - العذب النмир، ج1، ص113.

2 - معجم مقاييس اللغة، ص846.

3 - معجم مقاييس اللغة، ص641.

وأما الأعراف فالنظر في آياتها بالقصد الأول إلى العامل لا إلى العمل، فقد كانت معنية بذكر التفاصيل، والظلم المتحدث عنه هو ظلم النفس بتبديل ما أمر الله به، فلفظ الظلم أدل على ذات العامل بوصف حاله من دلالة لفظ الفسق.

- المقطع الثامن:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعَثُّوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (البقرة 60).

وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ رَبِّ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الأعراف 160).

الموضع الأول في هذا المقطع: في البقرة ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ وفي الأعراف ﴿إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾.

لقد ذكر في البقرة آخر الأمر استسقاء موسى لقومه، لأن المقام مقام آلاء ونعم فكان المناسب لذلك ذكر السبب المباشر لحصول النعمة، مع ما في ذلك من بيان عناية نبي بني إسرائيل بقومه وحرصه عليهم، وهذا معدود من النعم أيضا. أما الأعراف فكان السياق فيها يسجل تاريخ اليهود، وما يتبعه من تفصيل حالهم، وتسجيل عصيانهم، ولهذا فقد ذكرت هذه الآية جملة أمور حصلت لبني إسرائيل، وبدأت ببيان تقطيعهم لاثنتي عشرة أسباطا، ثم طلبهم للسقيا، ولقد كان في طلبهم السقيا من موسى تفصيلا لحالهم بما يتبين به ضرورتهم، وقد قال بعض العلماء أن ذلك كان في التيه. (1)

الموضع الثاني في هذا المقطع: في البقرة: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾.

1 - جامع البيان، ج2، ص6 بتصرف يسير.

لقد كان أمر الله لموسى في البقرة بلفظ القول هو المناسب لسياقها، وكانت الاستجابة سريعة لإستسقائه معقبا بالفاء التي تدل على التعقيب والمباشرة، وهذا ما يلائم سياق البقرة.

وأما الأعراف فقد جاء لفظ الوحي ليبين جلالة الأمر وقداسته، حيث كانت السقيا بأمر من الله سبحانه، ليتبين بعد ذلك أن عصيان بني إسرائيل وجودهم إنما هو جحود لما يعرفون قداسته، وهذا من شدة العصيان كما هو سياق الأعراف.

الموضع الثالث في هذا المقطع: في البقرة ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾ وفي الأعراف ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ﴾.

قال الراغب الاصفهاني: " فجر: انفجر: شق الشيء شقا واسعا"⁽¹⁾

وقال الراغب في الانبجاس: " بجس، يقال بجس الماء وانبجس: انفجر، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شق ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع ".⁽²⁾

قال السيوطي: " في البقرة ﴿فَأَنْفَجَرْتُمْ﴾، وفي الأعراف: ﴿فَأَنْبَجَسْتُمْ﴾، لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فناسب سياق ذكر النعم للتعبير به ".⁽³⁾

وأما الأعراف فكانت تقص تاريخ القوم وتفاصيل أحوالهم التي هي تفاصيل عصيانهم، وكان ذكر الانبجاس وهو أمر ملحوظ من بدايته ليكون لهم من النعمة آية تلزمهم الحق... ودلالة تلزمهم اتباع نبيهم (عليه السلام) ، وبهذا فإن عصيان بني إسرائيل بعد معاينة الآيات، لهو أشد العصيان كما يدل عليه سياق الأعراف.⁽⁴⁾

الموضع الرابع من هذا المقطع: اختلاف تذييل الآيتين ففي البقرة: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾، وأما آية الأعراف فختمها سبحانه: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

1 - مفردات ألفاظ القرآن، ص625.

2 - مفردات ألفاظ القرآن، ص107.

3 - الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص998.

4 - العذب النمير، ج4، ص160.

قال ابن عاشور: " وقد جمع بين الأكل والشرب وإن كان الحديث عن السقي، لأنه قد تقدمه المن والسلوى، وقيل هناك: ﴿كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ فلما شفع ذلك بالماء اجتمع ". (1)

ثم إنه نهاهم عن الإفساد في الأرض، لأنهم: " لما أمروا بالأكل والشرب من رزق الله تعالى، ولم يقيد ذلك عليهم بزمان ولا مكان ولا مقدار، كان ذلك إنعاما وإحسانا إليهم، واستدعى ذلك التبسط في المأكل والمشرب، نهاهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك، وهو الفساد، حتى لا يقابلوا تلك النعم بالفساد" (2)

أما الأعراف فإنها قد عدت في الآية نعما كثيرة على بني إسرائيل، الأكل والشرب، وتظليل الغمام، ثم بينت خاتمة الآية حالهم حيالها وهو العصيان والكفران وهذا هو سياق الأعراف.

-المقطع التاسع:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصِلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۗ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ (البقرة 61).

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ (آل عمران 112).

1 - التحرير والتنوير، ج1، ص519.

2 - روح المعاني، ج1، ص272.

الموضع الأول: في البقرة ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ وفي آل عمران قال: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تُلْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾.

والذلة هي الذل والصغار، وقيل: القتل والأسر وسبي الذراري... وقيل: فرض الجزية، والصحيح - والله أعلم - أنها كل ذلك، كما أن الجزية لا تؤخذ منهم إلا على وجه الصغار كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة 29).⁽¹⁾ والمسكنة: "الفقر يقال تمسكن الرجل أي صار فقيرا وسمي الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعدته عن الحركة".⁽²⁾

وقال ابن جرير: "والمسكنة في هذا الموضع مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها وذلها".⁽³⁾

لقد كان سياق البقرة يخاطب بني إسرائيل المعاصرين للنبي (ص)، ويدعوهم للإيمان، ويحذرهم من العصيان، ولهذا فقد جاء الترتيب في البقرة بذكر الأشد عندهم لا الأشد في الأمر نفسه، والمسكنة كانت عندهم أقل خطرا من الذلة، وأما غضب الله فلم يكونوا يكثرثون به كثيرا لهذا كان آخرها في الترتيب.

أما الاستثناء في آية آل عمران فحكم يعني المسلمين، لهذا لم يكن لمخاطبة اليهود منه فائدة، وهو استثناء لم يرفع الحكم المطلق.

وأما آل عمران فإنها تخاطب النبي (ص) والمؤمنين، وتبين حال هؤلاء اليهود للمؤمنين، ولهذا فقد بدأت آيتها ببيان ضرب الذلة عليهم، واستثنت منه حالة تضبط علاقة المؤمنين باليهود، والمعنى: أنهم أدلة ليس لهم من العزة إلا اعتصامهم بحبل من الله، أي ذمة من الله، وهو إلزامهم عقد الذمة، أو حبل من الناس أي أمان منهم، ولكنه على هذا استثناء قاصر فإنه لم يزل عنهم كل معاني الذلة بل بعض أحكامها.⁽⁴⁾

1 - جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج2، ص26.

2 - منصور بن محمد السمعاني، تفسير السمعاني، تح، ياسر إبراهيم وغنيم الغنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـ، ج1، ص87.

3 - تفسير الطبري، ج2، ص27.

4 - الكشاف، ج1، ص393 بتصرف يسير.

الموضع الثاني في هذا المقطع: في البقرة: ﴿الَّذِينَ﴾، وفي آل عمران: ﴿الْأَنْبِيَاءَ﴾ لقد كان جمع المذكر السالم هو المناسب لسياق البقرة، والغرض من مخاطبة اليهود بهذه الصيغة هو تذكيرهم بأولئك الأنبياء المقتولين بأعيانهم وفي ذلك تعظيم الشناعة على هؤلاء اليهود حتى ينتهوا عما كان عليه أسلافهم ويدخلوا في الإسلام. أما آل عمران فقد كانت صيغة جمع التذكير تفيد الجنس الكثير، وهي حين تخاطب المؤمنين، فإنها تكشف أحوال اليهود ببيان عظيم جرمهم حين أكثروا القتل في الأنبياء. وبهذا يتبين وجه مناسبة كل لفظ لمقامه.

الموضع الثالث: في البقرة ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ وفي آل عمران ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ .

قال الزركشي: " في سورة البقرة جاء عن أنبياء معهودين، وهو قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ بَغَيْرِ الْحَقِّ﴾، فناسب أن يؤتى بالتعريف؛ لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفا، لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ (المائدة 45)، فالحق هنا الذي تقتل به الأنفس معهود معروف". (1)

وبهذا يتبين أن مقابلة هؤلاء المعاصرين بما يعلمونه من أحوال أسلافهم، إقامة للحجة عليهم، ودعوة لهم إلى نبذ ملة أسلافهم واتباع دين خير المرسلين. أما آية آل عمران كانت خطابا للنبي (ص) والمؤمنين، فقد جاءت آيتها بصيغة التذكير، وهو هنا للتعظيم، تعظيم مرتكب هؤلاء اليهود، وشناعة جرمهم، وهذا هو البيان المناسب للمخاطبين، ولا يؤدي التعريف ما يؤديه التذكير، والله أعلم. (2)

- المقطع العاشر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة 63).

1 - البرهان في علوم القرآن، ج3، ص219.

2 - ملاك التأويل، ج1، ص217 بتصرف يسير.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمَعُوا ۗ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۗ قُلْ بِسْمَايَأْمُرُكُمْ بِهِ ۗ إِيْمَنُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ (البقرة 93).

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ (النساء 154).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ (الأعراف 171).

الموضع الأول: افتتحت آيتا البقرة بأسلوب الخطاب، بينما كانت النساء والأعراف على الغيبة.

ويظهر هذا من خلال السياق؛ لأن آيتي البقرة في مخاطبة المعاصرين من بني إسرائيل للنبي (ص)، وآية النساء في سياق يخاطب النبي(ص)، وأما الأعراف فكانت تسجل تاريخ بني إسرائيل، وتبين معاصيهم لذا جاء على الغيبة. والله أعلم.

الموضع الثاني: في آيتي البقرة والنساء: ﴿رَفَعْنَا﴾، وفي الأعراف ﴿نَتَقْنَا﴾، الرفع معلوم معناه وظاهر أما النتنق فقد قال ابن فارس: "نتق: النون والتاء والقاف أصل يدل على جذب شيء وزعزعته وقلعه من أصله". (1)

الموضع الثالث: في آيتي البقرة وآية النساء: ﴿الطُّور﴾ وفي الأعراف ﴿الْجَبَل﴾.

قال ابن فارس: "الطاء والواو والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الامتداد في شيء من مكان أو زمان... والطور جبل، فيجوز أن يكون اسما علما موضوعا، ويجوز أن يكون بذلك لما فيه من امتداد طولاً وعرضاً" (2)

وقد اختلف العلماء في الطور هنا، هل هو الطور الذي كلم الله منه موسى عليه السلام، أو أن كل جبل يسمى طورا، أو هو ما أنبت من الجبال. (3)

1 - معجم مقاييس اللغة، ص 1010.

2 - معجم مقاييس اللغة، ص 627.

3 - جامع البيان، ج2، ص48.

الموضع الرابع في هذا المقطع: الزيادة التي في الأعراف: ﴿وَإِذْ تَتَّقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾.

وهنا زاد الله سبحانه قيدين؛ الأول في وصف الجبل ﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ والثاني في وصف حال القوم لما رفع فوقهم: ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾.

لقد كانت لفظتا الرفع والطور هما المناسبتين لسياق البقرة، وذلك أن سياقها في مخاطبة المعاصرين للنبي (ص) من اليهود، والغرض من الخطاب هو دعوتهم للإيمان بذكر المنة على أسلافهم، ولم يكن هناك حاجة لذكر صفة ذلك الرفع من بدايته، وسياق النساء وهي سورة مدنية كذلك؛ فإنها في مخاطبة النبي (ص) في محابته لأهل الكتاب في المدينة فالغرض واحد.

أما الأعراف فكانت تصف حال بني إسرائيل وصفا دقيقا، حين بينت أنهم قد شاهدوا الجبل وهو يتزعزع من أصله فينجذب وينقلع، ثم يرتفع فوق رؤوسهم حيث صار " الجبل فوقهم بقدرة الله كأنه ظلة، كأنه غمامة تظلمهم فوق رؤوسهم".⁽¹⁾ وهم يحاذرون أن يقع عليهم، كل ذلك حتى يلتزموا بالتوارة ويأخذوا بها، وهذا من شدة عصيان بني إسرائيل ونفورهم الذي تقصه دائما سورة الأعراف.

الموضع الخامس: في البقرة: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة 63)، وفي الآية الأخرى من البقرة: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاَسْمَعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِعَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة 93). وفي الأعراف: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

لقد كان سياق البقرة يعدد النعم على بني إسرائيل بما حصل من ذلك لأسلافهم، ويتلطف بهم عليهم يؤمنون، ولقد سجلت الآية الأولى من البقرة نعمة إلزام الأسلاف

¹ - العذب النمير، ج4، ص 683.

بالتواترة، وذلك برفع الطور فوقهم، ولهذا فقد كان المقصود في هذا الموضع ذكر ما الغرض من ذلك الإلزام فقال سبحانه معقبا: ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

ولقد كان سياق الأعراف مشاركا للبقرة في هذا التعقيب، لأنه كان مشاركا لها في عد النعم لكن من باب تسجيل التاريخ، وبيان عاقبة القوم في كل مرة ينعم الله عليهم. وأما الآية الثانية من البقرة؛ فإنها جاءت بعد أن بدأ السياق بمواجهة هؤلاء اليهود المعاصرين للنبي (ص) بقبائحهم، وما يبطنونه من العصيان والخيانة وهذه المواجهة تبدأ من قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ مَحْرُفُونَ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة 75).

ويستمر السياق على ذلك حتى يظهر لهم خبيثة نفوسهم في عصيانهم للقرآن وهم يعلمونه مصدقا لما معهم من الكتاب... وهذا خبر من الله جل ثناؤه أنهم من التكذيب بالتواترة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفرقان. (1) وقد بين الله أنهم لا إيمان لهم وأمر نبيه أن يقول لهم: "بئس الشيء يأمركم به إيمانكم: تصديقهم الذي زعموا أنهم به مصدقون من كتاب الله، إذ قيل لهم: آمنوا بما أنزل الله، فقالوا: نؤمن بما أنزل علينا... وأخبر سبحانه أن تصديقهم بالتواترة إن كان يأمر بذلك فبئس الأمر تأمر به. وإنما ذلك نفي من الله تعالى ذكره عن التواترة أن تكون تأمر بشيء مما يكرهه الله من أفعالهم". (2)

وبهذا انتهت سورة البقرة بنهاية هذا المقطع.

1 - جامع البيان، ج2، ص 256 بتصرف يسير.

2 - جامع البيان، ج2، ص 266.

سورة آل عمران

وهي سورة مدنية بالاتفاق، ولقد نزل أول السورة كما قال المفسرون بسبب وفد نصارى نجران، وقد وفدوا بعد فتح مكة. (1)

قال ابن كثير: " وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران، وقال الزهري: هم أول من بذل الجزية. ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح، فيما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب، وبين ما ذكره محمد بن إسحاق الزهري ". (2)

وقد تقدمت دراسة هذه السورة الكريمة مع آيات سورة البقرة، وكانت آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (آل عمران 112).

وقد درست مع آية البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِيهَا وَبَصَلَهَا ۗ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ۚ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (البقرة 61). وكان للسياق دوره في كشف المعنى وإبرازه.

1 - جامع البيان، ج5، ص174.

2 - تفسير ابن كثير، ج2، ص56.

سورة النساء

وهي مدنية بالاتفاق، وقد اشتملت السورة على أحكام كثيرة " فمعظم ما فيها شرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية: من نظم الأموال، والمعاشرة والحكم، وغير ذلك ". (1)

وقد ذكر الله فيها أحوال اليهود، ومن الجدل معهم الشيء الكثير، وذلك لكثرتهم بالمدينة، ولزوم معرفة أحكام التعامل معهم. (2)

وأما الآيات التي شملتها الدراسة في القصة فقد وردت في سياق المجادلة، وهو سياق جدال اليهود للنبي (ص)، وتعننتهم في تصديقه، وقد أتت أول آية في ذلك السياق عنواناً فقد قال تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ (النساء 153) ولهذا فقد جاء جدال القرآن لليهود في هذه الآيات، مبيناً للنبي (ص) ما هم عليه من كثرة العصيان والشقاق.

وقد سبق إيراد آيات هذه السورة مع سورة البقرة وقد أبان السياق حينها عن ذلك الجدل والشقاق والتعننت الذي يميز بني إسرائيل.

والآيات هي (النساء 153) وقد وردت مع (البقرة 55).

والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا

الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ (النساء 154).

وقد التقى مع آيتي البقرة (63-93) وآية الأعراف (171).

و بهذا تتم الدراسة التطبيقية بشقيها والتي هي لب هذا البحث وثمرته، مع صعوبة ما فيها من التعامل مع أمهات كتب التفسير لكنها صعوبة لا تخلو من لذة، لأن هذا البحث

1 - التحرير والتنوير، ج4، 212.

2 - التحرير والتنوير، ج4، ص214.

يتعامل مع خير ما يبذل فيه الوقت، والجهد، والمال، وهو كتاب الله العزيز، حيث تتناول الشق الأول الفترة الفرعونية، أو مرحلة ما قبل الخروج وما فيها من شبه بفترة ما قبل هجرة النبي محمد (ص)، حيث التركيز على البناء العقدي والتوحيد، أما الشق الثاني من الدراسة فتناول الفترة الإسرائيلية أو فترة ما بعد الخروج، وهي فترة تشبه مرحلة تأسيس مجتمع المدينة على عهد الرسول (ص) وما صاحبها من تشريع للعبادات، والأخلاق، والمعاملات، وفي ذلك تذكير لليهود المعاصرين للنبي (ص) بالنعم والآلاء التي حباهم بها الله تعالى، وهم مع ذلك دائبون على الغدر، والمكر، والخداع.

فكان لهذا الاختلاف بين الفترتين أثر في تباين السياقات، والتي من خلالها يلاحظ التباين في الألفاظ، والخطاب الخاص بكل مرحلة.

الخاتمة:

لقد أدرك علماء اللغة المسلمين القدامى مفهوم السياق بمعناه الاصطلاحي، وقدموا أفكاراً وممارسات سياقية متميزة، أكدها البحث اللغوي وأثبت جدواها في التحليل اللغوي، ومصطلح السياق من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة يشمل السياق اللغوي والحالي وكل ما يحيط باللفظ أو النص من ملابسات لفظية وغير لفظية، ويقابل هذا المفهوم مصطلحات مختلفة عند علماء المسلمين إذ استعملوا مصطلح السياق ودلالة السياق والدلالة السياقية وسياق الكلام وقرينة السياق، وأرادوا بذلك السياق اللغوي. واستعملوا مصطلح المقام والحال ومقتضى الحال والقرائن (غير اللفظية)، وأرادوا بها سياق الحال، أي: حال المتكلم والمخاطب وموضوع الخطاب ومكان حدوثه وزمانه والمناسبة التي قيل فيها، وانطلاقاً من هذه الأرضية توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أجملها في ما يأتي:

1- تلتقي آراء علماء اللغة المعاصرين مع آراء علماء المسلمين القدامى في ضرورة الاستناد إلى الدلالات السياقية لتحديد المعنى، وفهم دلالات الألفاظ والتراكيب والنصوص، وهذا يدل على صلاحية نظرية السياق وفعاليتها في تحليل النصوص وتفسيرها.

2- للسياق أهمية كبرى في تعليل اختيار الألفاظ والصيغ، فكل لفظ أو صيغة في القرآن الكريم دلالة خاصة يقتضيها السياق.

ومن خلال دراسة قصة سيدنا موسى -عليه السلام- و تحليلها ثبت:

3- أن اللفظ لا يدل في السياق إلا على معنى واحد، فالألفاظ قد تدل على أكثر من معنى خارج السياق، لكنها لا تدل في السياق إلا على المعنى الذي يريده المتكلم ويفهمه المخاطب بمعونة القرائن السياقية.

4- أن التقديم والتأخير في القصص القرآني يأتي لأغراض سياقية تتعلق بترتيب المعاني في نفس المتكلم وبغرضه من الخطاب، فضلاً عن مراعاة مقتضى حال المخاطب، وملابسات الخطاب.

5- أن السياق هو الذي يقتضي الحذف ويدل عليه، فلكل حذف في القصص القرآني دلالات بلاغية مختلفة. ويتميز القصص القرآني بكثرة الحذف ولاسيما حذف أكثر من جملة، لكن روعة الإعجاز القرآني تجعل المتلقي يصل إلى المحذوفات دون أن يشعر بأي غموض أو لبس، لأن القرائن السياقية تعمل على ملء الفجوات التي يتركها الحذف.

6- أن دراسة القصص القرآني في ضوء السياق تكشف أن كل حلقة من حلقات كل قصة ذُكرت في مكانها المناسب، وأن معنى السورة ومقصودها لا يتحقق إلا بذكر تلك الحلقة، فضلا عن مناسبة أسلوب العرض لسياق السورة؛ ومن ثم يعدّ التكرار من أهم أسباب التماسك النصي، فإذا ذكرت حلقة من قصة في سورة ما فإنها تحيل على الحلقات الأخرى في السور الأخرى، فقد تذكر القصة مولد النبي أو تكليفه بالرسالة - مثلا- في سورة معينة فيثير هذا في ذهن المتلقي أحداث القصة في السور الأخرى.

7- أن تماسك النص القرآني ويكشف عن علاقاته الداخلية ووجوه تناسبه وترابطه، لأن ترتيب آيات القرآن وسوره توقيفي، والسياق الحالي يصور العلاقات بين النص وما يحيط به من ظروف وملابسات، فقد أنزل القرآن منجما على وفق الأحداث ومقتضيات الأحوال، ومتطلبات الدعوة.

8- أن الدلالات السياقية تكشف عن خاصية من أهم خصائص الإعجاز القرآني، وهي ذلك التناسق العجيب بين الترتيب الزمني على وفق ترتيب النزول، وبين ترتيب المصحف، وهذا التناسق يقودنا إلى القول: إن كل قصة قرآنية - وإن توزعت في سور كثيرة - يربطها خيط دقيق من التماسك والانسجام، بحيث يشكل كتلة واحدة متكاملة.

9- أن فهم قصد الشارع في القرآن الكريم عامّة وفي القصص القرآني خاصّة، لا يحصل على الوجه الأمثل إلا بمراعاة حال المخاطب، والمخاطب، وموضوع الخطاب، وغرضه، ومكان النزول وزمانه، وأسبابه، وكل ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات.

10- أشار البحث إلى أهمية الإفادة من الدراسة النصية في تحليل القصص القرآني وتفسيره، وقد توصلّ البحث إلى أن التماسك النصي يعد من أهم مميزات القصص القرآني، ويفسر كثيرا من الأسئلة التي أثّرت عن التكرار والترابط والتناسق، إذ تشير نتائج التحليل النصي إلى أن السياق القرآني يعمل على تماسك النص من خلال التكرار

والتناسب بين الآيات ومرجعية الضمائر، ولذلك تترابط الجمل في القصة الواحدة وتسهم في سرد أحداثها ومشاهدها، وكل قصة يربطها مع غيرها من القصص روابط مختلفة، فضلا عن ترابط القصص القرآني وغيره من موضوعات القرآن على مستوى السورة الواحدة، والنص القرآني كله.

وفي الأخير أحمد الله تعالى على أن أعانني على إكمال بحثي، فإن وفقت فذاك ما أرجوه، وإن قصرت فحسبي أنني بذلت قصارى جهدي، وعزائي أنني على الخطوات الأولى للبحث، وأسأل الله التوفيق.

فهرس المصادر و المراجع

القرآن الكريم، برواية حفص .

- 1- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر، بيروت، د ط ت .
- 2- الأصبهاني، محمد بن عبد الله (الخطيب الإسكافي) ، درة التنزيل وغرة التأويل، تح، محمد مصطفى أبدين، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ .
- 3- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت، د ط ت .
- 4- الأنباري، الأضداد، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1960م .
- 5- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 141 هـ .
- 6- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1994 .
- 7- التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع تونس، ط1974م .
- 8- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دار عالم الكتب، الرياض، طبعة 1412هـ .
- 9- الجاحظ ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، دت .
- 10- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2، 1401هـ .
- 11- ابن جزي، أحمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، دار أم القرى، مكة المكرمة، د ط ت .
- 12- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح ، محمد بن علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط3، 1407هـ .
- 13- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر، عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1978م .

- 14- الجوهري، الصحاح، تح، شهاب الدين أبو عمر، دار الفكر، بيروت، ط1، 1418هـ.
- 15- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام، قدم له إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400 هـ.
- 16- الحطيئة، ديوان الحطيئة، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط1.
- 17- أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ.
- 18- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والنجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، دار العودة بيروت، ط1981 م.
- 19- الدمشقي، عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تح، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
- 20- ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط1، 1424هـ.
- 21- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة القاهرة، 1383 هـ.
- 22- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، بيروت، ط4، دت.
- 23- روبرت ديوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر، تمام حسان، القاهرة، ط1، 1418.
- 24- الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ط1، دت.
- 25- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، 1408 هـ.
- 26- الزمخشري:
أ- أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط1404هـ.
ب- الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تصحيح،

- محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ .
- 27- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر، كمال بشر، مكتبة الشباب القاهرة ، د ت .
- 28- ابن السراج، الأصول في النحو، تح، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1405 هـ.
- 29- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1417 هـ .
- 30- سليمان عشارتي، الخطاب القرآني (مقاربة توصيفيه لجمالية السر الإعجازي)، ديوان المطوعات الجامعية الجزائر، 1998م.
- 31- السمرقندي، تفسير السمرقندي، تح، محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د ط ت .
- 32- السمعاني، تفسير السمعاني، تح، ياسر إبراهيم وغنيم الغنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418 هـ.
- 33- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن، نتائج الفكر، تح، محمد إبراهيم البناء، دار الرياض، د ط ت .
- 34- سيوبه، الكتاب، تح، عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط2، 1979م.
- 35- السيوطي، جلال الدين:
أ- الإتيان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.
ب - التحبير في علم التفسير، تح، فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم الرياض، ط1، 1402 هـ .
- 36- الشافعي، الرسالة، تح، أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1399 هـ .
- 37- الشنقيطي، محمد الأمين:
أ - أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1413 هـ .
ب - دفع إبهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ط1، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1417 هـ .

- ج - العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، دار ابن القيم، الرياض، ط1، 1424هـ .
- 38- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار الفكر، بيروت، ط1، دت.
- 39- طاهر سليمان حمودة، دراسة المعني عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، دت .
- 40- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح، عبد الله التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 1422هـ .
- 41- الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تح، هادي عطية الهلالي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1407 هـ .
- 42- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب تونس، ط2، 1982م.
- 43- عبد الوهاب أبو صفة الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم، دار عمار للنشر و التوزيع الأردن، ط1، 1409 هـ .
- 44- العثيمين، محمد الصالح:
أ - تفسير القرآن الكريم، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1423هـ.
ب - شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط2، 1415هـ.
- 45- ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تح، صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد، 1400 هـ .
- 46- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ .
- 47- العكبري، أبو البقاء بن الحسين، اللباب في علل البناء و الإعراب، تح، غازي مختار، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1419 هـ .
- 48- عماد عبد يحيى، البني والدلالات في لغة القصص القرآني، دار دجلة الأردن، ط1، 2009م.
- 49- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث، بيروت، ط4، 1414هـ .

- 50- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل القاطع بنوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في أي التنزيل ، تح، سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1403هـ .
- 51- الغزالي، المستصفي في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1403 هـ.
- 52- ابن فارس،أحمد، مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1392هـ .
- 53- فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار،عمان الأردن، ط2، 1422هـ .
- 54- فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف الإسكندرية، ط1976م.
- 55- الفخر الرازي:
أ- التفسير الكبير، دار الكتب العالمية طهران، ط2، دت.
ب- المحصول في علم الأصول، تح، طه جابر فياض، الرياض، ط1339، 1 هـ.
- 56- فندريس، اللغة، تر، عبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 1.
- 57- الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ .
- 58- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ .
- 59- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ.
- 60- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1390هـ .
- 61- ابن قيم الجوزية:
أ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح، عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط 1.
- ب - الأمثال في القرآن، تح، إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، 1406 هـ.
- ج - بدائع الفوائد، تح ، علي العمران، دار عالم الفوائد، مكة المكرمة، ط1425هـ.
- 62- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1388 هـ .

- 63- الكلوداني الحنبلي، التمهيد في أصول الفقه، تح، مفيد أبو عميشة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط 1، 1406هـ.
- 64- محمد أبو موسى:
أ - الإعجاز البلاغي - دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1418هـ.
ب - البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408 هـ .
- 65- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ط1997م.
- 66- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1409 هـ .
- 67- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن. قواعده - أساليبه - معانيه، الدار الإسلامية، بيروت، ط1، دت.
- 68- محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط، 1991.
- 69- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم (الجزء الأول في التعريف بالقرآن) ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006 م .
- 70- محمد عزة دروزة، القرآن والملحدون، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط2، 1980م.
- 71- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2007 م.
- 72- محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، الإسكندرية، ط1981.
- 73- المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز المعاني في القراءات السبع، تح، إبراهيم عطوة، مكتبة المصطفى الإلكترونية، د ط.
- 74- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1400 هـ.

- 75- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط ت) .
- 76- ابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، تح، محمد الزحيلي، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، 1400هـ .
- 77- النحاس، أبو جعفر بن محمد:
 أ - إعراب القرآن، تح، زهير غازي، عالم الكتب، الرياض، ط3، 1409 هـ .
 ب - معاني القرآن، تح، محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ .
- 78- يوسف العيساوي، أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1423، هـ .
- 79- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1410 هـ .

فهرس الموضوعات

أ-ج.....	مقدمة
42-5	الفصل الأول: السياق والقصص القرآني
7-5.....	المبحث الأول:السياق لغة واصطلاحا
5.....	السياق لغة
7-6.....	السياق اصطلاحا
13-8.....	المبحث الثاني:أركان السياق
8.....	الركن الأول: الخطاب
9-8	الركن الثاني: مصدر الخطاب
9	الركن الثالث: متلقي الخطاب
10.....	الركن الرابع: المساق
11.....	الركن الخامس: ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه
17-13.....	المبحث الثالث: دلالة السياق وأنواعه
13.....	دلالة السياق
14.....	أنواع السياق
31-18.....	المبحث الرابع: تأصيل النظرية السياقية في التراث العربي
18.....	السياق عند اللغويين
21	السياق عند البلاغيين
24	السياق عند المفسرين
28	السياق عند الأصوليين
32.....	المبحث الخامس: حول القصص القرآني
32.....	القصص لغة
33.....	القصص اصطلاحا.
34.....	ما الذي يعنيه القصص القرآني للمسلمين ؟

39-37.....	أنواع البنى القصصية في القرآن الكريم
37.....	الشكل الأول: القصة المغلقة
37	الشكل الثاني: القصة المفتوحة
42-39.....	دلالة الألفاظ في القصص القرآني
39.....	الدلالة السياقية
40.....	الدلالة الاقترانية
41.....	الدلالة الإيحائية
88-44	الفصل الثاني: الفترة المصرية
65-44	سورة الأعراف
65.....	سورة إبراهيم
81-66	سورة طه
84-81.....	سورة الشعراء
86-85.....	سورة النمل
87.....	سورة القصص
87.....	سورة الزخرف
88-87.....	سورة الدخان
118-90	الفصل الثالث: الفترة الإسرائيلية
115-91	سورة البقرة
116.....	سورة آل عمران
118-117.....	سورة النساء
121-119.....	الخاتمة
128-122.....	فهرس المصادر والمراجع
131-129.....	فهرس الموضوعات

الملخص:

يتناول البحث بالدراسة الدلالات السياقية للقصص القرآني، متخذاً من قصة النبي موسى (عليه السلام) أنموذجاً، من خلال تحليل الدلالات حسب سياقات القصة الواردة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، مع بيان التخريجات المناسبة لكل لفظ حسب الموضع الذي ورد فيه .
فمعاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي وردت فيها حتى ما كان منها غير لغوي.
وهذا هو الهدف الأساس الذي سعى البحث لتحقيقه.

Summary :

This work is devoted to study the contextual meanings of tales therein the Holy Quran , holding the story of Moise (peace be on him) as an example.

It has been fulfilled throught the analysis of meanings according to the context of the story in different locations in the Holy Quran, with providing the appropriate meaning of each word according to the context of situation. Meanings of words demand an analysis of the contexts and situations they are cited in, even extra linguistic ones.

This is the objective that this aims to fulfil.

الملخص:

يتناول البحث بالدراسة الدلالات السياقية للقصص القرآني، متخذاً من قصة النبي موسى (عليه السلام) أنموذجاً، من خلال تحليل الدلالات حسب سياقات القصة الواردة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، مع بيان التخريجات المناسبة لكل لفظ حسب الموضع الذي ورد فيه. فمعاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي وردت فيها حتى ما كان منها غير لغوي. وهذا هو الهدف الأساس الذي سعى البحث لتحقيقه.

Summary:

This work is devoted to study the contextual meanings of tales therein the Holy Quran, holding the story of Moise (peace be on him) as an example.

It has been fulfilled throught the analysis of meanings according to the context of the story in different locations in the Holy Quran, with providing the appropriate meaning of each word according to the context of situation. Meanings of words demand an analysis of the contexts and situations they are cited in, even extralinguistic ones.

This is the objective that this aims to fulfil.